

ذكريات

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخري كرم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

العدد (1797) السنة السابعة
الاثنين (17) أيار 2010

12

ذكريات خاصة
عن الجسر الحديدي



حكايات عن ابراهيم عرب

شيء عن باب المعظم وماجاوره

من مقاهي البصرة القديمة



من اوراق الراحل جلال الحنفي

شيء عن باب المعظم وماجاوره

ما مررت بمنطقة باب المعظم الا تذكرت بغداد عبر سنين طويلة يوم كان الداخل الى بغداد يمر بجامع الأزبك عن جهة اليمين الذي كان يقع عند مدخل الشارع فانه سيرى على يابه شعرا قاله شاعر بغداد في الحقب الماضية صالح التميمي اذ قال من بعض ما قال:

اذا جئت للزوراء قف عند بابها — تجد جامعا من غفلة الجهل مانعا
وكانت الى جوار هذا الجامع تكية للازبكية القادمين من اوزبكستان لهم فيها عرف وماوى دائم وقد انزوا هذه التكية بالمره وشردوا ساكنيها وكنت اماما وخطيبا في جامع الأزبك لمدة تتنوف على العشر سنين وكانت اطيب ايام حياتي في هذا الجامع وقد اسست فيه جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية وواصلت فيه اصدار مجلتي المسماة بمجلة الفتح..

ان هذا الجامع العظيم هدم تعسفا لبييت جامعا صغيرا ليس فيه من المشتملات ما يجعله يلفت انظار الداخلين فيه او المارة من امامه ولم تنتفع الاوقاف من هدمه.. كما كان هناك باب اثري يرجع الى اواخر عهد العباسيين مررت منه يوم كنت صغيرا اذ اخذتنا ادارة مدرستي مع مدارس ابتدائية اخرى في اوائل العشرينات متجهين الى البلاط الملكي ليستقبلنا الملك فيصل الاول ويستعرضنا ايامئذ اذ لم تكن في بغداد اية مدرسة الا ما كان في بدء انشائه منها ولا اذكر اكنت في الصف الاول ام كنت في الصف الثاني ولا شيء من الصفوف بعد ذلك غير صفنا الاول والثاني..

وقابلنا الملك وكان واقفا في مدخل البلاط ونحن نمر من امامه الى داخله وعدنا بعد المكافحة من ذات الطريق..

ان هذه البوابة الفخمة التي تدل على عظمة بانيتها بيعت بمبلغ بسيط تافه يقل عن عشرة

دنانير على ما فهمناه مما اورده الباحث عبد الحميد عبادة في كتاب له..

ولم يكن من الضروري ايدا هدم بوابة بغداد لامرويا ولا هندسيا اذ لم يكن القوم يعلمون ان الاثار القديمة هي مورد اقتصادي لاي بلد في هذا العصر..

وكانت في مدخل بغداد حوانيت ودكاكين لعدد من الباعة وقد كانت على ما شاهدت عدة دكاكين تقع في المنطقة وقد لبثت امداء ثم هدمت فصارت بلقعا.. وقد بنيت في باب المعظم مكتبة عالية فخمة جدا كنا نتردد عليها للمطالعة ولكنها بعد حين هدمت خطأ وتعسفا بدعوى توسيع الطريق ولم يؤد هدمها الى توسيع يريديونه..

ولم يكن هناك جسر بل كانت هناك مشرعة يقال لها شريعة المجيدية وبناء الجسر هنا مفيد وضروري على ان لبناء هذا الجسر قصة شبيهة مروعة هي انهم عثروا هناك على اثار قديمة جدا الا ان الدولة يومذاك طمرت هذه الاثار بلا رحمة استرضاء لرغبة الشركة اليابانية اذذاك..

وكانت القلعة العسكرية تحف بها جدران عالية واسوار متينة مرتفعة وقد عدموها خالفا للقانون الذي يحمي الاثار القديمة ووضعوا مكانها سجاجا حديديا واطنوا لايزال موجودا وراحوا يمنعون السابلة من المرور قريبا..

وكانت امام الرائي عند دخول بغداد مبان بعضها قديم كمثل التكية الطالبانية التي عاش فيها وكان رئيسها الشيخ عبد الله الطالباني وابناؤه رحمهم الله احد ضباط الجيش العراقي وحسن الطالباني الذي استوزر في بعض الفترات وعلى الطالباني الذي تولى بعض المناصب الادارية..

ويرى الداخل بغداد عددا من المقاهي على الجانب الايمن من الشارع منها لاحمد كلك

واسطة لطيف واخرين ثم يرى مدرسة ابتدائية هي مدرسة المأمونية وكنت من طلاب قسمها المسائي ويرى الرائي في الواجهة جامع الميدان الذي يسمى جامع الاحمدية وامامه مقهى البلدية وكانت مقهى كبيرة يجتمع وراءها باعة الحميس وباعة اخرون وكانت الى جوار جامع الاحمدية سوق خاصة بالشكرجية زالت فيما بعد..

وكان للقلعة سباب تقع في جهة الميدان تقع عندها قهوة السيد بكر وكنا اعتدنا الجلوس على مقاعدها.. هذه المعالم ومعالم اخرى كعدد من المساجد والمطابع والحوانيت لاوجود لها اليوم..

وعلى الجانب الايسر من الشارع المسمى اليوم شارع الرشيد وكان يسمى عند اول افتتاحه عام 1918 بخليل باشا جاده سي اي شارع خليل باشا القائد العثماني..

وكانت على الجهة اليسرى قهوة الوقف والى جانب منها خان عمر وهو فندق كان الذين يراجعونه ليلا ينامون على الارض بلا فراش لقاء عشرة فلوس رأيت خلقا منهم هناك على هذه الحالة.. والى جوار التكية الطالبانية وبالتحديد بينها وبين جامع المرادية توجد فنادق اهلية..

ان هذه الجهة كانت ذات كثافة في السكان كثيفة جدا وفي الميدان كانت تقع سينما العراق كانت اول الامر تعرض فيها الافلام صامتا وتكتب بعض تفاصيل الامر على الشاشة في ترجمة مستعجلة..

ولم تكن في بغداد اول امرها مطاعم وكان بعض النساء يجلسن في منتصف السوق وبين ايديهن قدورهن التي يبعن فيها الرز والامراق اذ يجلس الكلة على الارض ليتناولوا طعامهم.. وكذلك كان يقع في نهاية باب المعظم وفي مقابلة جامع الأزبك في مدخل

محلة الطوب مسجد يسمى مسد عمر امامه السيد مصطفى ال قمر..

وفي جهة باب المعظم من نهر دجلة حتى باب الميدان امتدادا الى الشمال كان هناك خندق بغداد القديم وقد ادركته وهو اخدود عريض وعميق وفيه شيء من الماء مع قاذورات كانت تلقى فيه ثم طمروه وبنوا بهو امانة العاصمة وكانت تقام فيه حفلات الاستقبال الرسمية ومن ذلك حفلة استقبال ملك الافغان محمد ظاهر شاه وقد حضرناها ولايزال هذا

الملك الافغاني حيا حتى اليوم وقد اقيم عليه انقلاب اقامه احد ذوي قرابته المدعو داود، وقد استقبلنا الملك الافغاني في مقر اقامته بقصر

الزهور عند زيارته بغداد اذ كان ضيفا على الملك غازي وكنا اربعة من رؤساء الجمعيات الاسلامية في بغداد وهم يومذاك الشيخ امجد الزهاوي رئيس جمعية الاخوة الاسلامية والشيخ قاسم القيسي رئيس جمعية الهداية وكمال الدين الطائي معتمد جمعية الاداب الاسلامية اما انا فكننت رئيسا لجمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق وجرى بيننا وبين الملك حديث حول باكستان التي تم انشاؤها قريبا والبشتونستان الذين هم سكة افغانستان وهو حديث طويل..

وفي عام 1935 عينت وكيلاً لخطيب المرادية مقابل وزارة الدفاع ومن مومذاك الغيت التغني على المنابر يوم الجمعة في خطبة الجمعة وقد تعرضت بسبب ذلك لسخط عظيم وغضب شديد من جماعة من كانوا هناك من المصلين اذ كانوا يعتقدون ان التغني في خطبة الجمعة امر من ثوابت الشريعة وفي

الجمعة التالية حضر الى بغداد من الموصل عالمها المعروف الشيخ بشير الصقال فنطقت به خطبة تلك الجمعة وهو شيخ ذو عمة ولحية ظاهرة تكاد تغطي صدره فلما خطب لم يلجأ

الى التغني وانما القى خطبته مرسلة دون غناء وعلمت الناس ان تصرفي في حذف الغناء عند الخطبة كان صحيحا..

وبنوا الى جوار جامع الأزبك في باب المعظم قاعة كبيرة واسعة سموها قاعة الملك فيصل الثاني ثم سميت بقاعة الشعب. وفي الوقت الحاضر اتخذوا من مستشفى المجانيين ومن سجن بغداد المركزي اللذين كانا في باب المعظم ما يسمى اليوم بوزارة الصحة..

وقد وصل الماء عند فيضان نهر دجلة قبل الثلاثين الذي يسمى بالكسرة الى باب المعظم وشاهدت ذلك بعيني وانا صغير..

وكان يقع في باب المعظم مستشفى المجانيين الذين كانت نسمع اصواتهم عبر اسوار المستشفى كما كانت تقع هناك مستشفى المجيدية التي كانت قبل ذلك قصرا اصدر السلطان العثماني محمود خان امره لوالي بغداد مدحت باشا ببنائه لسكنى الشاه الايراني ناصر الدين شاه ومن معه عند مروره ببغداد الى فرنسا للعلاج ومن يومذاك عرف اهل بغداد شرب الشاي، وقد جاء مع الشاه الى بغداد ما يقرب من الف مرافق وكان القصر المذكور يسعهم بخيولهم وقد شاهدت القصر وشاهدت بابه قبل هدمه..

وكانت هناك حوانيت للعاقين الذين يبيعون التبغ والشعير للناس وللجيش خاصة اذ تقوم هذه الحوانيت امام القلعة.

والكلام على المواقع البغدادية كلام يطول وله اجنحة وذبول وتلك الايام نداولها بين الناس..

المعروف ان باكستان اسست سنة 1947 ولعل الشيخ الحنفي التقى الملك محمد ظاهر شاه سنة 1950 حين زيارته بغداد. مجلة بغداد اذار 1964



كوركيس عواد انتقد ساطع الحصري فنقله من "التعليم" إلى "الأثار"

كوركيس عواد، الشيخ الذي تجاوز الخامسة والسبعين لم يعيش حياته هباء، اذ ان بصماته تبدو واضحة على الحياة الثقافية، كتب وترجم وحقق أكثر من اربعين كتابا، وما زال يكتب ويراجع الكتب والمخطوطات بهمة الشباب، وصبر الشيوخ، وهو في حاجة الى مثل هذا الصبر خصوصا اذا عرفنا ان كتابه الاخير المعنون "مصادر التراث العسكري عند العرب، اخذ منه حوالي 18 عاما من العمل الدؤوب.

ورحلته الطويلة ما بين الكتب والمخطوطات القديمة اعطته الكثير، ولكنه عبرها، ادار ظهره لصناعة برع فيها والده، واكتسب لقبه منها، وهي صناعة العود.

ابتسام عبد الله



"مصادر التراث العسكري عند العرب، عملت فيه 18 عاما انما خلاصة عملي، وهو لم يجمع في ايام، واشهر او سنة، او سنتين، وتطلب مني مقابلة مستديمة، وبمناسبة الحديث عن التعب، اذكر ان مؤلفي "معجم المؤلفين العراقيين، قد تطلب مني استثنائيا، فهو يتتبع كل مؤلف عراقي منذ عام 1800 وحتى عام 1969 ويقع في الفتي صفحة وصدر بثلاثة مجلدات.
«واهتماماتك الاخرى بعيدا عن المخطوطات؟
- يتنم كوركيس عواد:
"كنت عازفا ماهرا على العود، وقد نسيتته اليوم، مع ذلك ما زلت اهوى القراءة كما كنت شابا وصغيرا".
«مكتبتك كما تبدو هائلة، بل انها امتدت من الغرفة الى الممرات واحتلتها ما عدد الكتب التي لديك.
- "اعتقد حوالي اثني عشر الف كتاب وهي في تزايد مستمر".
«وهل بإمكانك الاستدلال على اماكن الكتب التي تحتاجها للمراجعة؟ ام انك تحتفظ بدليل خاص لها.
- "ما زلت اقوم بترتيبها، وما زلت احفظ مكان كل كتاب فيها، وعندما احتاج كتابا ما، امد يدي دون تردد لاستخراجها ولم اخطئ يوما".
نعم استفاد الشيخ من عمله في المكتبات.. نظم مكتبة المتحف البغدادي واشرف على تنظيم مكتبة الجامعة المستنصرية بدأ بترقيتها من واحد، حتى وصل بها الى 9000 مجلد، ثم تقاعد عن العمل الوظيفي ليتفرغ للكتابة ومراجعة الكتب، وما زال حتى اليوم، يمضي جل وقته في ذلك، ينهض من يومه مبكرا، (الثالثة صباحا)، يقرأ في فراشه حتى الخامسة والنصف، ليخلو بعدها بنفسه في المكتبة، وقد يتسلسل اليه التعب، فيلجأ الى الراحة، او الاتصال ببعض اصداقائه ومتابعة بعض البرامج الجيدة في التلفزيون.
يتركنا كوركيس عواد، ويغرق في كتاب جديد بين يديه، فخارج الكتب لا يعرف كوركيس عواد ان يعيش "أحب المقابلات الثقافية، برامج سماع التقاسيم على العود، والى سماع صوت فيروز انه يريح الاعصاب المتعبة".
مجلة التضامن العدد 45
في 84/2/18

804 كتب بلغات مختلفة، في حين ان مكتبتي الخاصة في ذلك الوقت كانت تحوي اكثر من 1500 مجلد، وفي بغداد واصلت الكتابة والنشر".
«ولكن ما الكتب التي تحس انها اضافت رصيда جديدا اليك؟
- "لا استطع المغاضلة بين كتاب وآخر من كتبتي".
«اذن.. أي السنوات يمكن اعتبارها ابرز مراحل العطاء في حياتك؟
- هنا اقول ان الاربعينيات كانت عندي خطأ فاصلا، وفي خلالها اتصلت بالاب العلامة "انسئاس ماري، كرملي" وتلقيت منه فوائد جمة، وفي الخمسينيات افادتني الرحلات التي قمت بها الى خارج العراق للدراسة والتتبع وخاصة الى الولايات المتحدة، واوروبا وكنت اتتبع باهتمام المخطوطات العربية الموجودة في مكتباتها، وفي الستينيات سافرت الى الاتحاد السوفيتي للاطلاع، ايضا على المخطوطات العربية هناك، ووجدت في "لينينغراد" وحدها اكثر من عشرة الاف مخطوط".
«كيف تسرب هذا الكم الهائل من المخطوطات الى الخارج؟
- الحقيقة المؤسفة التي لاشك فيها انها قد تسربت بأوجه مختلفة ما بين الشراء والاهداء، او الاستنساخ والمخطوطات الموجودة في مكتبات اوروبا واميركا تعد بعشرات الالوف".
«لا بد ان اثرها كان ملحوظا على الثقافة الغربية الا تتفق معي في ذلك؟
- نعم... قام الاستشرافي اساسا على هذه المخطوطات والذين يعرفون اللغة العربية اطلعوا على جوانب منها، ووضعوا دراسات وافية عنها وهذه المخطوطات اضافة المجالات، التي يصدرها المستشرقون، تعتبر مصدرا مهما لدراسة التراث العربي، ولا يمكن لشخص من الادعاء باطلاعه على هذا التراث ما لم يطلع على تلك المجالات".
«واطلعت عليها ودرستها؟
- تقريبا... مثلما ذكرت سابقا زرت ابرز مكتبات بريطانيا واميركا باريس، فيينا، اسبانيا، موسكو، ولينينغراد، ومكتبة الفاتيكان، كما استنسخت بعضها للاستفادة منها".
«يبدو ان المخطوطات القديمة قد اتعبتك؟
- الذي اتعبني منها ما يتعلق بكتابي الاخير،

وبالحماس نفسه الذي واصلت فيه عمك في تلك المدرسة الابتدائية معلما للنحو والقراءة العربية، ولكن القدر كان يخفي لك مفاجأة اخرى غيرت مجرى حياتك وكان ذلك في عام 1936.
يقاطعنا كوركيس عواد ويقول:
- كانت لتلك المفاجأة اصول اولية، عندما كنت ادرس في قرية "القوش" القراءة الخلدونية التي وضعها المربي الكبير ساطع الحصري عثرت على بعض الامور التي تحتاج الى التعديل والتحرير كتبت بذلك لي الاستاذ الحصري.
«كنت واثقا من الامر الى ذلك الحد!
- تصوري.. معلم بسيط في قرية نائية في الموصل، يكتب الى استاذ كبير مثل ساطع الحصري يشغل منصب مدير المعارف العام، تعجب مدير المدرسة من جرأتي تلك وحزني من مغية ما اعمل وان ذلك قد يؤدي بي الى الفصل، ولكنني كتبت الرسالة واطلعت المرحوم ساطع الحصري على ملاحظاتي في ايراد الحروف التي لها اصوات معينة وعدم استعمال كلمات لم تدرس حروفها من قبل".
«كيف تقبل الحصري ذلك منك!
- كنت قلقا على مصيري انتظرت ثلاثة اسابيع طويلة، ثم جاءتني رسالة من الاستاذ الكبير يقول فيها انه اطع على ملاحظاتي وانني كنت مصيبا فيها وان الطبعات المقبلة من القراءة الخلدونية، ستتحاشى الخطأ".
ونقل ساطع الحصري في ما بعد من سلك التعليم الى الآثار ويوما، قدم لزيارة الموصل، والاطلاع على آثارها وعندما سمع، كوركيس عواد، بذلك تذكر الحادثة القديمة، وصمم على مقابلة الحصري ومرة اخرى، يشعر بقلق الانتظار هل سيذكر الحصري ياترى!
- نعم، تذكرني، تحدثت معي ساعة كاملة، يسألني اسئلة كثيرة تتعلق بآثار المنطقة، ووجدت عندي جوابا لكل سؤال كان يمتحنني بشكل غير مباشر، وبعد عودته الى بغداد باكثر من ثمانية اشهر قرأت في احدي الصحف خبر نقلي الى مديرية الآثار في بغداد".
«وتسلمت مرة واحدة: المكتبة، الترجمة، المخزن، وقسم التصوير.
- نعم اربع وظائف جديدة علي ما عدا بعض الخبرة التي كنت اكتسبتها عن المكتبات، لأنني عند تسلمي مكتبة متحف بغداد، وجدت فيها

كوركيس عواد، وزعنا في مختلف انحاء العراق، كانت قرية "بعشيقه" من نصيبي بلدة عامرة كثيرة البساتين تشتهر بزيتونها الممتاز، بقيت سنتين فيها ثم نقلت الى قرية اخرى وهي "القوش".
وفي "القوش" كان الشاب يمضي وقت فراغه في القراءة مال اولا الى الكتب الجغرافية ويتتبع وهو في القرية الصغيرة اخبار الاكتشافات العالمية، ولا يبخل في شراء ابرز الكتب الجغرافية بل اتسعت هوايته تلك ودفعته الى الاشتراك في مجالات متخصصة عالمية. وعندما اتسعت مداركه في هذا المجال، بادر الى ترجمة عدد من المقالات، فالترجمة كانت خطوته الاولى نحو الكتابة، ترى هل يتذكر تلك البداية؟
- "قدمت على ذلك اكثر من نصف قرن من الزمن. كان ذلك عام 1931، بعث المقالة الاولى الى مجلة "النجم" وكان صاحبها علامة كبير، وهو سليمان الصائغ، المعروف بكتابه عن تاريخ الموصل، كنت واجفا وقلقا، هل تنشر المقالة، أم تلقى في سلة المهملات.
وانتظرت بعد شهر او اكثر وجدت المقالة منشورة في المجلة وكان فرحي كبيرا، ازددت ثقة بنفسي وبدأت انصرف للكتابة في مجلة "النجم".
ونسأل كوركيس عواد
«ولكنك غيرت اتجاهك من الجغرافية الى التاريخ، والى التراث كيف حصل ذلك معك!
- انتقلت الى الموصل للعمل في مدارسها والتقيت فيها باستاذي سليمان الصائغ اعطاني كتابا باللغة الانكليزية عن الحفريات في "تل اسمره" و"الخلاقي". حيث كانت بعثة اميركية تقوم باعمال التنقيب في مناطقها الاثرية، وطلب مني تلخيص بعض المقالات لنشرها في "النجم" لخصت اربعة اقسام نشرت بالتتابع، وكانت تلك الخطوة بداية انتقالك من الجغرافية الى التاريخ ومع ذلك، لم اهتم هو ابني الاولى اذ عدت اليها بعد سنوات طويلة، حيث ترجمت بالاشتراك مع زميلي بشير فرنسيس كتابا ضخما بعنوان بلدان الخلافة الشرقية، يقع في 700 صفحة وصدر عن المجمع العلمي العراقي عام 1954 ونفذ وهو اليوم اندر من الكبريت الاحمر".
«واصلت القراءة واقتناء الكتب النفيسة

كان والده عواد اول من ادخل صناعة العود الى العراق الحديث، بعد اندثارها بحيث ان العراقيين، اخذوا يجلبونها من سوريا أو تركيا كان والده يصنع الآلات الموسيقية فبرع في صناعة "القانون" لكنه، فكر في اضافة العود ايضا الى تلك الآلات التي كانت تخرج من بين ايديه مشدودة الاوتار، دقيقة الصنع وعشقت انامله هذه "الصنعة" الجديدة، وانصرفت اليها بكلية بحيث ان اسمه اصبح مرادفا لها، وطار صيته من الموصل الى بغداد والبصرة، واصبح كل من يقطني عودا من العواد الموصل، يحس بنوع من الزهو والمباهاة، ألم يفكر كوركيس الصبي في تعلم مهنة والده؟
لم تعلمها، يجيب كوركيس عواد، لكني كنت عازفا ماهرا على العود، وجرفتني الكتابة بعيدا، بحيث ان اناملي أصبحت اخشن من ان امرها على الاوتار الحساسة.
«وماذا تتذكر من الموصل القديمة؟
- مدينة محدودة الثقافة لا انارة لا اسالة للماء، كان السقاؤون يحملون قراب الماء من نهر "جلة" ويأتون بها الى البيوت كنا نعتمد في الاضاءة على الفوانيس والشموع ولهذا كنا نفضل، ونحن صغار على الدراسة نهارا وعدم تأجيل الواجبات المدرسية الى الليل، حيث نضطر للقراءة على ضوء الشمعة او الفانوس".
بالرغم من هذه الظروف واصل كوركيس عواد دراسته والى المدارس انذاك، كانت تعد على اصابع اليد، الطلاب قليلون الطرق غير معبدة والكتب غير متوفرة كانت الامية هي الغالبة بحيث ان الرسالة التي كان يستلمها اقدم، كانت تطوف سبع احياء سكنية من اجل العثور على من يستطيع قراءتها.
وتبدل الحال، بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى.
وعرفت المدن طعم المدارس، وازداد عدد الطلاب والمعلمين وكانت الامتحانات بحكم الحاجة اسهل واكل، تعقيدا ما هي عليه اليوم، وكان الطالب الذي يتسنى له انهاء الدراسة الثانوية يعين في الحال معلما، ويصبح بذلك موظفا مرموقا في الدولة، وهكذا تحول كوركيس عواد، الطالب المنفق الى معلم في احدي قرى الموصل.
بعد تخرجنا في دار المعلمين في بغداد، يتذكر



أوراق من ذاكرتي

كيف كانت تعمل رئاسة الوزراء في المملكة العراقية؟ . .

د. فخري شهاب

دبلوماسي سابق ومؤرخ



من تقديم تقريري في موعده، قبل نهاية الأسبوع، وعلمنا أنا كنا في يوم الأحد يومئذ، فقد بادرت بالعمل فوراً.

رهان على الخيل

وكانت الخطوة الأولى استدعاء «كاتب الصادرة والواردة» للاستعانة به في البحث عن خطاب الاستيزار لأطلع على فصوله، واستعين بما ورد فيه عن نية الحكومة الجديدة في تطبيق برنامجها لتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد الشعب؛ وبعد البحث والتحري عن الكاتب المذكور اتضح أنه، كعادته في كل يوم أحد من كل أسبوع، غادر مكتبه مبكراً لوضع رهانه في سباق الخيل الذي كان يقام مرتين في الأسبوع: الأحد والخميس؛ واذن فلا بد من تأجيل البحث عن خطاب الاستيزار إلى الغد، وما على «فخامة الرئيس» و«علي» بل على الشعب العراقي بأسره إلا أن ينتظر، وذلك ما حصل!

وفي صباح الإثنين حضر الكاتب المعني إلى مكتبي مرتبكاً معتذراً، فلم أعاتبه على تصرفه، وبادرت فأخبرته عما أردت البحث عنه، وحسبت، وأنا أنظر

أوراقه (الضمير يعود للرئيس)، ويعاون رئيس الوزراء وزير (مسن، لا يتغير بتغير الوزارات!) لشؤون مجلس الوزراء، يضطلع بوضع جدول الأعمال واجتماعات المجلس الأسبوعية، وهو يشترك الرئيس في خدمات الشرطي الحارس والفراش، كما كان للرئيس ووزيره «رئيس كتاب» يخدمهما ويخدم كل من طلب المساعدة ممن قد يريدان، مثلي أنا أو الدكتور عدنان الباجه جي - ولم يكن لأي منا سكرتير أو سكرتيرة أو مساعد، بل كنا نحن الإثنين نشترك في «فراش» واحد، وأخيراً كان للمجلس بكامله كاتب واحد (وعنوان وظيفته: «كاتب الصادرة والواردة») لتسلم ما يرد إلى المجلس من وثائق من الوزارات المختلفة وتسجيلها، وحفظها، وتسجيل ما يصدر عنه (المجلس) من وثائق للوزارات وتسجيلها، ومن كاتب للحسابات كنت أراه عند تسلم مرتبي آخر كل شهر، وإذا كان ثمة موظفون آخرون، فإنني لم أسعد برؤيتهم أو التعرف بهم.

عودة الآن إلى ما كنت بصدد الحديث عنه: محاولة الاطلاع على خطاب الاستيزار، ونزولاً عند تعليمات «فخامة الرئيس»، والتزاماً مني بإنجاز ما عهد به لي

لانجاز هذا التقرير قبل نهاية الأسبوع إن أمكن» - وقال جملته الأخيرة بصوت اقرب للتضرع منه إلى الأمر! فأكدت لي نبرة صوته وملامحه واستعماله صيغة الجمع في مخاطبتي، أنه كان جادا في طلبه، وأن مخاوفي كانت أوهاما لا مبرر لها في الحقيقة. واستأذنت بعد هذا وعدت إلى مكتبي.

سذاجة وجهل

راودت ذهني أفكار شتى بعد ذلك اللقاء القصير الغريب: أذكر بوضوح اليوم منها عظيم ارتياحي لاحتفاظي بوظيفتي التي خشيت فقدانها، وأذكر منها ما بدا على رئيسي الجديد من جدية واستعجال لتحقيق مطلبه، وفكرة أخرى ما انفكت تلازمني حتى الآن، وهي محاولتي اقناع نفسي بأن ما عشته خلال الدقائق الماضية، كان أمراً قد وقع فعلاً، وليس حلماً تراءى لي! فقد أنهلتني سذاجة رئيسي الجديد وعظيم جهله! أكان يحسب جادا أن ما كان موضع نقاش عقوداً طويلاً بين المفكرين والسياسيين وقادة الرأي العام، وما ناقشته الأحزاب المختلفة نقاشاً مستفيضاً في الغرب، سيلخص في منكرة أحررها أنا خلال أيام قلائل؟ ثم عدت إلى واقعي الذي كنت أعيش فيه: هذا سياسي جديد، يريد أن يبني كيانه السياسي، وقد اكتشف فكرة بناءة اكتسبت شعبية واسعة (في الغرب)، وخاصة بعد أن تبنتها الحكومة البريطانية في أخريات الحرب العالمية الثانية، وتبناها بحماس ووسعهما ثم قننها وعمل بها حزب العمال، بعد فوزه بالانتخابات بعد الحرب، ثم عمت العالم المتحضر بأسره، فلم لا تطبق في العراق إذن؟

والرد أنه لا مانع، بديهية، من اقتباسها والعمل بها، ويعلم الباري تعالى أن مجتمعنا أحوج ما يكون إليها، والبطالة بيننا منتشرة، والأمراض منتشرة، والفقر مدقع، والامية شائعة! إلا أن ما أنهلني وألني في الوقت ذاته هو سذاجة رئيس الوزراء الجديد، وقناعته أن تنفيذ مشروع ضخم، واسع، مكلف، كهذا هو من البساطة، بحيث أنه لا حاجة به للدرس والتحضير! فليس لصاحبنا الافكرة غامضة عامة عما ينوي الاقدام عليه!

فكرة إيجابية

ثم أعدت النظر في الأمر، فقررت اتخاذ موقف إيجابي مما جوبهت به، فعسى أن تكون هذه المحاولة بدء تجربة اجتماعية تنفع الشعب!.. وهذه فرصة سنحت لخدمة العباد، أفليس من الواجب أن أغتنمها وأعين على تحقيقها؟ ولم أجعل جهل الرجل الذي يحاول ادخالها سبباً لإحباطها بدلاً من إعانتته على تحقيقها؟ وافرض أن دوافعه كانت سياسية، أفليست الفكرة في ذاتها فكرة إيجابية، والشعب بحاجة ماسة لها؟ خطر لي، وأنا أعرض هذه الأفكار في ذهني، المثل المشهور: «الأعور في مملكة العميان... الخ»، وقلت: فليسد، هذا «الأعور» إلى هؤلاء المساكين ما يمكن لتخفيف بؤسهم وألمهم! وكذلك بدأت العمل.

كان لا بد أولاً من الاطلاع على بيان الاستيزار لأرى ما وعدت به الحكومة الجديدة المواطنين، لتكون تلك نقطة البدء التي يبني عليها المشروع، ولكن كانت تلك فاتحة متاعبي كما سيرى القراء الكرام.

مجلس وزراء من 10

هنا استميت القارئ الكريم في استيراد لا بد منه لأعطي فكرة عن تكوين مقر مجلس الوزراء العراقي في عصر الملكية:

كان مقر مجلس وزراء «المملكة العراقية» يتكون مما لا يزيد عن عشرة أشخاص: «فخامة الرئيس»، ومرافق له هو عادة ضابط من الجيش برتبة «مقدم»، وشرطي («عريف») يحرس الرئيس، وفراش يخدمه وينقل

في مطلع عام ١٩٥٨ عينت مديراً عاماً لدائرة جديدة أحدثت في مقر مجلس الوزراء العراقي سميت بدائرة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وبعد شهرين أو ثلاثة أشهر استقالت الوزارة التي عينت في عهدها (وكان يرأسها رجل كريم وسياسي محنك هو المرحوم علي جودت الأيوبي، أحد أفراد الرعييل الهاشمي الذي قاد الثورة العربية ابان الحرب العالمية الاولى)، فخلفه سياسي أصغر سناً، كان هو ايضا لين العريكة، طيب القلب، وعلى خلق عظيم، هو المرحوم عبد الوهاب مرجان، وكانت تلك وزارته الاولى. كما عين بعد نحو شهر من تعييني في منصبتي الجديد الدكتور عدنان الباجه جي مديراً عاماً لدائرة الشؤون السياسية.

وقد كنت عرفت السيد عبد الوهاب مرجان قبل ذهابي إلى اكسفورد وفي ظروف لا تنسى، ذلك أنني عرفته يوم كنا، نحن الإثنين، محاميين اتفق أن ترافعنا في محكمة الحلة البدائية، ويظهر أنه كان قد بدر منه في خلال المرافعة ما استفزني، فأجبتة بخشونة أنهلته. ويخجلني اليوم أن أتذكرها، ومع أنني كسبت القضية التي جمعتنا، إلا أن سلوكي تجاه زميلي كان لا يغتفر!

في مكتب رئيس الوزراء

وافترقنا بعد هذا فلم نجتمع حتى جمعنا ظروف العمل في مقر مجلس الوزراء العراقي ببغداد: هو رئيس للوزراء وأنا موظف مدني في مكتبه. وكانت قد جرت العادة أن يخف موظفو المجلس، عند تغيير الوزارات، إلى تهنئة الرئيس الجديد بمنصبه، وهذا ما فعل زملائي في مكتب الرئاسة. أما أنا، وكانت العلاقة بيني وبين الرئيس الجديد على ما وصفت، فقد قررت ألا أفعل! وقد وصلت إلى ذلك القرار لقلنا عتي بأن السيد عبد الوهاب، وقد سبق أن عرفني في حلبة أخرى، كان حتماً سيحاول التخلص مني بنقلي إلى منصب آخر خارج مقر المجلس، وانتظرت اسبوعاً، فلم يتحرك ساكن، وقبعت في مكاني أترقب الأحداث. ولم يطل انتظاري، إذ سرعان ما رن جرس التلفون في مكتبي رنيناً طويلاً من جبا، ليخبرني عامل التلفون (ولم يكن التلفون الاوتوماتيكي معروفاً يومئذ) أن «فخامة الرئيس» يريد أن يكلمني. هذه هي اذا اللحظة المنتظرة، قد أذفت، وأتى أخيراً ما كنت توقعت! فرددت على نداء «فخامة الرئيس»، وتوجهت توالى مكتبه كما طلب.

دخلت مكتب رئيسي الجديد، ففوجئت بقيامه لاستقبالي؛ ثم أشار لي بالجولوس، فاخترت كرسيها قريباً كان على يمين مكتبه، وجلست غير آبه بهذه الحفاوة الشكلية التي غمرني فخامته بها، فهي ولا شك، مقدمة لما سينكشف من نواياه! وبعد ترحيب مختصر، افتتح فخامته الحديث فقال: «أردت أن أبحث معك موضوعاً مهما تطرقت إليه في الخطاب الوزاري، هل قرأته؟» ولا داعي للقول إن الجملة الاولى التي افتتح رئيسي بها حديثه كانت مبالغتة لم أكن أتوقعها ولا كنت مهياً لها، فأرتج علي وبدا علي ارتباك حاولت التغلب عليه، فقلت: «وأي فقرة في الخطاب تعني، فخامة الرئيس؟» (وكان ذلك رداً أسعفتني البديهية به إذ لا داعي للقول إني ما كنت قرأت خطاب الاستيزار الذي جرى العرف الدستوري يومئذ بكل وزارة جديدة أن تعدده لمجلس النواب فور تسلم الحكم). قال فخامته شبه معتدراً: «أسف، أقصد الفقرة التي ورد فيها ما قطعته هذه الحكومة على نفسها من تحقيق العدالة الاجتماعية للعراقيين»، ثم أردف يقول: «أعد قراءته رجاء، واكتب لي مذكرة شاملة تفصل الخطوات التي على الحكومة اتخاذها لانجاز ما وعدت به». ثم اختتم فخامته الاجتماع بقوله: «اتركوا أي شغل آخر أنتم عاكفون الآن عليه

وثيقة ذات علاقة بالموضوع من قريب أو بعيد، حينئذ ثارت ثائرة وزير العدل. وقال «معاليه»، موجه حديثه الى الكاتب الخائب: «يعني أنا خرفان، دا أهذي؟» قال الكاتب وقد بدا عليه الارتباك «عقوا بيك، إذا تحبون، معاليكم، أجيب سجل الواردة» أم هل تقصدون مشروع القانون الذي كان أرسله الى المجلس معالي الاستاذ أركان العبادي (وزير الشؤون الاجتماعية يومئذ وهو أيضا وزير سابق في الوزارة المستقلة؟) قال وزير العدل، وهو يحاول أن يكظم غيظه: «ولك هذا الدابة (كذا!) يكدر يسوي شيء من هل القبيل؟»، ولينتهي جو التوتر الذي ساد مكتب «صاحب الفخامة»، ولينقذ الرجل نفسه من ورطة لا ذنب له فيها، تساعل كاتب الصادرة والواردة عما اذا كانت مراجعة أخرى لسجل المجلس قد تلقي ضوءا يبده هذا الغموض! فقال معالي الوزير بصوت منخفض: «روح، ابني، سوي شتريد، بس طلع لائحة القانون هذا».

الصادر والوارد

ومن غير استاذان «فخامة الرئيس»، ومن غير أن ينسب بكلمة أخرى، انطلق المسكين خارجا من المحنة التي وجد نفسه فيها، وساد المكتب الهدوء واستأنف المدخنون تدخين سكايرهم او حسي ما تبقى من دارسينهم توقعا لعودة كاتب الصادرة والواردة المذكور!

وقلا عاد صاحبنا بعد عشر دقائق أو نحوها يحمل سجلا ضخما تبعا مما قاست صفحاته من استعمال مستمر يبدو أنه بدأ في عصر الرشيد او ابنه المأمون! قال كاتب الصادرة والواردة، موجه كلامه الى «فخامة الرئيس»: «تفضلوا سيدي! هذا السجل يبين أن الوثيقة المطلوبة وصلت المجلس من وزارة الشؤون يوم عشرين نيسان ثم أعيدت اليها فور استقالة الوزارة السابقة من غير أن يتخذ المجلس عليها أي إجراء!».

هنا نفذ صبر «صاحب الفخامة»، فقال: «أنا ضعت! ليش أعيدت؟ ومن أمر بإعادتها؟ وما عندكم نسخة منها؟ وليس ما اتخذ المجلس عليها أي إجراء طول هذه المدة؟»

عين من زجاج

هنا انبرى للرد على هذا السيل من الاسئلة معالي وزير الدولة لشؤون المجلس. أدنى الوزير كرسية من مكتب الرئيس، فأشرق على وجهه نور ساطع لم يتوقعه من مصباح كهربائي كان على مكتب «فخامته»، ولذلك بدلا من أن يستريح في كرسية ليرد على تلك الاسئلة بهدوء، وجد نفسه يواجه نورا مزعجا يظهر أنه شتت أفكاره ووقاره، فغدا يتحرك، وهو جالس في كرسية، حركات سريعة تلقائية يتحاشى بها وقوع النور على عينيه، وزاد في طرافة ما كان يمر به معاليه من عناء أن شعاعا من النور الكهربائي الواقع على وجهه، كان يسقط على مقلة عينه الزجاج ويعكس الوانا تتغير كلما حرك رأسه، وان لم يكن هو شاعرا بذلك.

ولكن هذا كله لم يفقد الاستاذ رباطة جأشه. قال أستاذنا: «فخامة الرئيس: أعيد ملف القضية الى الوزارة المختصة اتباعا لعرف سارت عليه الحكومات العراقية المتعاقبة منذ تأسيس الدولة، فليس هناك من أمر بإعادتها وانما تم ذلك كجزء من روتين العمل، وهذا هو أيضا السبب أن ديوان هذا المجلس لم يحتفظ بنسخة من الملف، والا لتراكت عندنا أكواد من وثائق لا فائدة منها. وأما كون المجلس لم يتخذ أي قرار بشأنه، فذلك لأن الملف كان ينتظر دوره، وأن «أجندة» المجلس كانت مكتظة خلال نصف السنة الماضية».

حينئذ اتضحت الامور وخلص «فخامة الرئيس» الى القول: زين، إذا تعود الى فكرتكم، فكرة استعمال مدخرات مديرية الاوقاف كما تفضلتم، موجهها الحديث الى «معالي» وزير الدولة لشؤون الديوان، وبذلك انقض الاجتماع!

وبعد أيام قلائل رأيت، وانا اتفحص الجريدة الرسمية التي تنشر نصوص القوانين الجديدة فيها لتكتسب صفتها الدرجة القطعية، قانونا يقضي بإنشاء مصرف حكومي برأسمال قدره مليون دينار سمي «بانق العدالة الاجتماعية» الذي لم يكتب له أن يرى النور، وذلك لاندلاع ثورة ١٤ تموز وسقوط الملكية

وكذلك كانت تسير الامور في العراق في العهد الملكي.

كان مقر مجلس وزراء «المملكة العراقية» يتكون مما لا يزيد عن عشرة أشخاص: «فخامة الرئيس»، ومرافق له هو عادة ضابط من الجيش برتبة «مقدم»، وشرطي («عريف») يحرس الرئيس، وفراش يخدمه وينقل أوراقه (الضمير يعود للرئيس)، ويعاون رئيس الوزراء وزير (مسن)، لا يتغير بتغير الوزارات (١) لشؤون مجلس الوزراء، يضطلع بوضع جدول الأعمال لاجتماعات المجلس الاسبوعية، وهو يشارك الرئيس في خدمات الشرطي الحارس والفراش



وجه فخامته، ونظر الي نظرة المستعطف، المستفهم: «شلون، دخيلك؟» قلت: «هناك عدة طرق على الحكومة ان تختار منها طريقا أو أكثر اذا أردت»، وكرر فخامة الرئيس سؤاله: «شلون؟».

قلت أولا علينا أن نحصر التجربة في منطقة أو مناطق من المملكة دون غيرها: مثل العاصمة وكل جماعات من أعمار معينة، كالرجال بين سن العشرين والثلاثين، وبذلك يقل عدد من يشملهم البرنامج، الثالثة: ان نستثني أفراد القوات المسلحة ورجال الشرطة والامن، أو أن نستثني كل من قصرت قامته عن خمسة أقدام، وهكذا. الأمر منوط بالحكومة فهي تقرر أهدافها كما تمليها حالتها المالية، كما أنه من الممكن تقليص النفقات على قطاعات حكومية معينة، كالجيش أو البحرية أو الاكرد أو سكان الأهوار.. الخ وهلم جرا.

عند هذه الجملة، أدار فخامة الرئيس كرسية حتى واجهني وحدي، ثم أرفد يقول: «أشكر يا دكتور، اشكر. صار معلوم، خلصت استهزاءك مولانا؟».

وهنا فتح باب مكتب «فخامة الرئيس» فجأة وبما يشبه العنف، وبدأ قوام «معالي وزير العدالة (العدل)، فقال مستقهما: «شئو الموضوع؟ الظاهر انتو باجتماع! أشوف سادين الباب، ومخلين شرطي حارس! فأجاب «فخامة الرئيس»: «تفضلوا، تفضلوا معالي الأخ، انتو تقدرتون تساعدونا شوية، تفضلوا».

المشروع عندكم!

وبعد تبادل التحيات والمجاملات، شرخ «فخامة الرئيس» أن الغرض من الاجتماع هو بدء العمل في برنامج لتحقيق العدالة الاجتماعية للشعب العراقي. فقال معالي وزير العدل، بعد أن جلس على الاريكة (الكنبة) المقابلة لمكتب «فخامة الرئيس» إنه يستغرب أن يسمع هذا، فالموضوع قد أشبع بحثنا، وإنه هو قد كون لجنة في عهد الوزارة السابقة وأعد مشروع قانون مفصلا لهذا الغرض. قال «معاليه»: «مشروع القانون هذا قد أرسل الى المجلس من مدة، فهو عندكم يا فخامة الأخ».

وما كاد «فخامته» يسمع ما قيل، حتى يبادر يطلب كاتب الصادرة والواردة، فحضر، فسأله «فخامته» عن مشروع القانون المذكور، إلا أن صاحبنا نفى نفيا قاطعا أن يكون في مقر مجلس وزراء العراق



طه الهاشمي

بأدبه المعتاد أن أحضر الى مكتبه، فهرعت ممتلئا. وأشار لي فخامته بالجلوس، فجلست على كرسي الاثير الى يمينه. وبعد أن تبادلنا التحيات... الخ، سألتني فخامته: «هل عندكم اعتراض على اشراك أستاذنا في النقاش؟» - وكان يقصد بذلك اشراك السيد منير القاضي، وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء، وقد كان الرجل (رحمه الله) استاذنا، نحن الاثني عشر: «فخامة الرئيس»، والداعي - فكان ردي أن الأمر يعود لاختيار فخامته طبعاً. قال إن لم يكن ثمة مانع، فلنشره في النقاش، فنهض فخامة الرئيس ففتح بابا في مكتبه، أطل منه وجه الأستاذ واضحا، بنظارته، وعينه الزجاج، ورأسه اللامع لخلوه حتى من القليل من الشعر الذي كان ما زال عاليا بهامته يوم عرفته أستاذنا في كلية الحقوق ببغداد.

أسلوب.. فاجر

وبعد تبادل التحيات، وبعد أن شرخ فخامة الرئيس الغرض من الاجتماع، تطوع فخامته بقراءة مذكريتي، وقرأها بكاملها بصوت جهوري لأن استاذنا كان ثقيل السمع! وأجهدت فخامته القراءة، فارتاح هنيهة، وتناول «استكانة» الدارسين فشرب منها ما جدد حيويته، واستعاد نفسه، ثم التفت الى أستاذنا يسأله رأيه في ما سمع. فقال معالي الاستاذ محجبا: «أسلوب فاجر!»، ثم أرفد فقال: «خسارة! هذا الشاب أضع مسلكه في الحياة! ليته اختار أن يكون صحفيا!».

ولست أدري حتى ساعة كتابة هذه المذكرات أكان أستاذنا - رحمه الله تعالى - جادا أم متهمكا!

شلون تخفضها؟

وهنا قاطعه فخامة الرئيس قائلا: لا شك في ما تقول، ولكن أربعة عشر مليون دينار! أربعة عشر مليونا! ثم ادار كرسية المتحرك على محوره الى اليمين ليواجهني، وقال: «أليس في الامكان تخفيضها؟» قلت: «يا فخامة الرئيس، هذه التقديرات مستمدة من الأرقام الرسمية التي تنشرها مديرية الاحصاء، والمبلغ المطلوب ثمن بحس لتحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد شعب لم يذيقها طول تاريخه!».

هنا ترك فخامة الرئيس أسلوب خطابه الفصيح، ولوح بذراعيه في الهواء تجاه السقف مستنجدا وقال: «لكن يا دكتور امنين اجيب اربعة عشر مليون؟ امنين؟ ما يمكن تخفيضها أبدا؟»، قلت «نعم، يمكن»، فانفتحت أسارير



علي جودت الايوبي

اليه ساعتئذ، أن ارتبأكه قد ازداد، ولكنه وعد بانجاز ما طلبت، وانصرف على عجل. وانظرت نحو ساعتين، فلم أسمع من الرجل، فخابرته تلفونيا، فقال أنه مازال مستمرا يبحث عن الخطاب المطلوب، وأنه لم يجده، وأنه سيحضره لي فور أن يجده، ومضت ساعة أخرى فحضر صاحبنا صفر البيدين، فليس من وثيقة في ديوان مجلس الوزراء العراقي لها صلة من قريب أو بعيد بالخطاب! قلت لصاحبي، وقد ضقت ذرعا بالفوضى التي وجدتها فيها، «افرض أنه تعذر العثور على نص الخطاب في ملفات ديوان مجلس الوزراء، ألا يمكن البحث عنه في الصحف التي نشرته قبل أيام؟»، وجاءني رده فورا: «الديوان يتخلص من الصحف او لا بأول: نحن لا نحفظ بالصحف بعد الانتهاء منها». فتجاهلت ما سمعت وتناولت الهاتف على مكنتي وطلبت من عامل التلفون ان يصلني برئيس تحرير أكبر صحف بغداد اليومية، جريدة «الزمان» يومئذ، على ما أنكر، ورجوت الرجل أن يتكرم فيرسل لي شخصيا نسخة سابقة من الجريدة التي نشر الخطاب فيها، ففعل وصلتني الجريدة المطلوبة في نحو نصف ساعة، وكفى الله المؤمنين شر البحث عن خطاب «فخامة الرئيس» في ديوان مجلس الوزراء العراقي الموقر.

وأخيرا وصلت الجريدة التي كنت أبحث عنها، وقد ملأ صفحاتها الأولى عنوان الخطاب المنشود، وبها ليته لم تصل! إذ بعد أن قرأت الخطاب من أوله الى نهايته، لم أجد فيه غير جملة واحدة عابرة عن «العدالة الاجتماعية» التي أشار فخامة الرئيس اليها، وهي الآتية: «وستعمل هذه الوزارة على تحقيق العدالة الاجتماعية في البلاد!» هذا ما أسفرت عنه جهود البحث حتى الآن!

ولا داعي للقول إنني لم أر حاجة للرجوع الى فخامة الرئيس للاستشارة بإرشاداته، فما حسبت أن ارشادات فخامته ستسعدني أو ستشفي مرامي، وقد أكد الواقع ذلك على ما سيرى القارئ الكريم بعد قليل.

النموذج البريطاني

وتوكلا على المعين الوهاب، وعلمنا بأني كنت تابعته برنامج الحكومة البريطانية للرعاية الاجتماعية الذي بدأ الحديث عنه في آخر سني الحرب العالمية الثانية، واني كنت في بريطانيا وتابعت سير التشريعات والنقاشين البرلماني والاعلامي اللذين صحبا تلك التشريعات، قررت الشروع في كتابة مقترحات يملها العقل وتجارب البلاد الأخرى، وعلى الله الانتكال!

بدأت تقريري او لا بتعريف العدالة الاجتماعية، فقلت إنها توفير البيئة التي تعادل فيها الفرص أمام المواطنين لظهور ما لديهم من كفاءات وطاقات لمصلحة المجتمع بأسره من دون تمييز مصدره العرق او الجنس أو اللغة أو الدين. وقلت إن ذلك يتم عملا بأن يضمن المجتمع (ممثلا في الدولة) للفرد حدودا دنيا تضمن له سلامة حياته، وصحته، وسكنه، وتعليمه. وتضمن له بعد أن يصل آخر العمر مستوى من المعيشة مقبولا تتوافر فيه الشروط المتقدم ذكرها.

14 مليوناً

ثم انتقلت الى احتساب ما يعني ذلك عملا: فحصت الموقف السكاني (الديموغرافي) يومئذ، وما يتوقعه الاحصائيون من تغيرات في تركيب «الهرم» السكاني في أرجاء المملكة كافة، وأوضحت ما تعني هذه التوقعات من الناحية المالية، فخرجت بنتيجة لا تقبل النقاش، وهي أنه بناء على تلك المعطيات، فان الحكومة بحاجة الى أربعة عشر مليون دينار سنويا خلال كل سنة من السنوات الخمس المقبلة لتحقيق برنامج للعدل الاجتماعي في المملكة. ثم طرحت سؤالاً مهما، وهو كيف ستواجه الحكومة نفقة هذا البرنامج؟ فكان الجواب: اما عن طريق الضرائب، أو عن طريق واردات النفط (وكانت برمتها مخصصة لمناهج الاعمار يومئذ). قلت إن ذلك قرار سياسي يترك للحكومة الفصل فيه. وجاء التقرير في أربع عشرة صفحة مطبوعة! وبما أن فخامة الرئيس كان هو الذي كلفني بإعداد الدراسة، فلم أر من واجبي أن أقدمها عن طريق وزير شؤون المجلس، بل رفعتها الى رئيسي الذي كلفني بإعدادها بادئ ذي بدء، أعني رئيس الوزراء نفسه.

مشاركة أستاذنا جميعاً

وفي صباح اليوم التالي رن جرس التلفون، فإذا هو عامل البقالة يصلني بفخامة الرئيس، الذي طلب مني



ساحة عبد المحسن الكاظمي .. مطلع الكاظمية مدينة شاعر العرب وملتقى محلات بغداد الاربع العريقة، وموضع مشرعة الروايا التي كان الخلفاء يستقون منها الماء في العصر العباسي.. هي وجه بغداد الشمالي.. وهي تلاقي الماضي والحاضر.. ومجمع الطارف والتالد.. وعناق القديم والجديد!!

تعد المنطقة التي يحتل وسط ساحتها تمثال شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي من مواضع بغداد المهمة في التراث، فهي ملتقى المشهد الكاظمي، والحريم الطاهري باعلى مدينة السلام. والقطيعة الزبيدية قطيعة ام جعفر زبيدة بنت المنصور ام الامين، ومحلة الحربية او باب حرب، وهذه الاربعة من المواطنين البغدادية المعرفة في خطط مدينة السلام بغداد.



ساحة

عبد المحسن الكاظمي

حسين علي محفوظ

الشاعر والعلاف. والجواليقي اللغوي، وابو الفرج الجوزي المؤلف المؤرخ المكثر، وابن عبد الحق البغدادي الجغرافي واشباههم ونظائرهم وامثالهم من كبراء الدفناء منذ ثلاثة عشر قرناً.

ومن خصائص الكاظمية ومشهدها المبارك ان ارضها تحتوي اجداث افاضل الناس من اصحاب المذاهب على اختلاف الاراء والمشارب.

وقبر موسى بن جعفر - منذ القديم - من الامكنة المباركة والمشاهد المقدسة قال شيخ الحنابلة، ابو علي الخلال "ما همني امر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الاسهل الله تعالى ما احب، وقال الامام الشافعي، قبر موسى بن جعفر تزيق مجرب لاجابة الدعاء".

والكاظمية من مراكز العلم والادب والدين واللغة والتراث - من قبل ومن بعد - خدم المعارف والعلوم والاداب فيها عشرات البيوتات العلمية ينفي المعروف منها على السبعين بيتاً واسرة خرجت مئات العلماء والادباء والشعراء والمفكرين والمؤلفين. ضم تراها اجداثهم، واقل تراثها اولادهم واعقابهم، اضافة الى البيوتات والعشائر العربية المعرقة.

ومن مآثر الكاظمية شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي النخعي الذي فارق العراق عام ١٨٩٧ ودخل مصر عام ١٨٩٩ وتوفي هناك عام ١٩٣٥ وهو يشترك الى العراق، ويحن الى العراق وهو الذي قال: (ما عنك يا اوطاننا بدل) (وطني انت كل ما اتمنى) و (الا خبر من ثنايا العراق)، و .. (يا احبابي ولما زار بعيد / قربوا للمحب

مع احداثها. ومنطقة الكاظمية التي يستقبل شاعر العرب (عبد المحسن الكاظمي) زوارها الذين يدخلونها بسلام.. تختص باعلام من المشاهير في الدين والعلم والادب والتاريخ والتراث والخلافة والسياسة.

منهم الامام موسى الكاظم، والامام محمد الجواد، وهما الكاظمان اللذان تنسب اليهما الكاظمية مدينة الكاظمين، والامام احمد بن حنبل، وعبد الله بن احمد بن حنبل، وابو يوسف والاشعري، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار من الائمة والعلماء ولاسيما مشهده الكاظمين وقبور الاولياء الثلاثة وفيها ايضاً قبر (زبيدة) و (الامين).

ومن دفناء الكاظمية الزهري المدني ويحيى الراوية بن الحسين بن زيد، وابراهيم المرتضى، وموسى ابو سبحة، والحامض النحويين والزاهي، وابن الجعابي والناشي، وابن قولوية، وابن الحجاج، والمفيد والشريف الرضيان - على قول - وجلال الدولة وابن افصح الشاعر، وابن الانباري وابن خلدون، وحيص بيص، وابن الانير الكاتب المنشي، والوزير الشهير وابن ابي الحديد اخو شارح نهج البلاغة وبعض اهل بيته، و عدة من آل ابي صفرة.

وهي تعزز برفات الوفاء الاعلام امثالهم من الملوك والسلاطين والامراء والوزراء والادباء والكتاب والشعراء.

ومن دفناء منطقة الكاظمية الكبار ابن البواب الخطاط استاذ الكتبة والخطيب البغدادي مؤرخ بغداد الكبير، وابن الشبل

، وكانت يغال الروايا تصل الى رحاب المنصور الذي يعرف بالخلد.

وقد رأى عبد الله بن طاهر بن الحسين يوماً دخاناً مرتفعاً كرية الرائحة في هذا المكان فتأذى فسأل عنه، فقيل: ان الجيران يخبزون بالبعر والسرجين، فقال ان هذا لمن اللؤم ان تقيم بمكان (اهله) الخبز ومعاناته (وما يقاسمون ويكابدون من اجل العيش) ، وامر جماعته فقصدوا وكسروا التناوير واحصوا جميع من بها رجلاً وامراً وصبياً، واجروا على كل واحد منهم خبزة وجميع ما يحتاج اليه (من طعام وغذاء) فسميت ايام عبد الله بن طاهر بن الحسين هذا (ايام الكفاية) ولابد ان ننعم اذن في هذا العصر بت (ايام الكفايات).

ان منطقة الحريم الطاهري (وهي منطقة الربع أي ربع طريق بغداد وساحة الكاظمي اليوم) وهي مطلع الكاظمية، ومدخلها تضج بالروائح التي تملأ الجو والاطراف بالنبت والسوكة والزهومة والصنان والجيفة.

وقد تغيرت مشرعة الروايا واسن ماؤها واجن. وكانت في الماضي تنتشر روائحها الطيبة. ويضوح رباها ويفوح ريحها حين تمر بها (الكاريات) ايام الترامواي، وكانت (قصر الابل) - وهو قصر الحاج عبد الحسين الجلي - معروفة بالطيب والارج والعرف والشذا حتى اواسط الاربعينيات. قلت.. ان ساحة عبد المحسن الكاظمي ملتقى المواضع الاربعة العريقة في تاريخ بغداد.. الكاظمية والحريم الطاهري والقطيعة والحربية.

اما الكاظمية فهي تؤام بغداد، واخت بغداد، تجري معها، وتشتبك في حوائرها، وتدور

وهي تذكرنا مشرعة الروايا، ورباط الحريم، وعبارة الكوخ، وقبر الاشعري ودار الصنعاني اللغوي المشهور.

امكنة كان يسكنها ويمشي فيها الوفاء العلماء والرجال والمشاهير منذ تأسيس بغداد في عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م وهي فترة استغرقت ثلاثة عشر قرناً وحوالي ربع قرن من عمر هذه البقعة الذي يتوغل في اعماق التاريخ القديم.

والحق - ان كل شبر تعلوه سماء العراق وتظله هو موضع مهم عزيز وتحست كل شبر من ارض العراق تاريخ عريق وتراث مجيد.

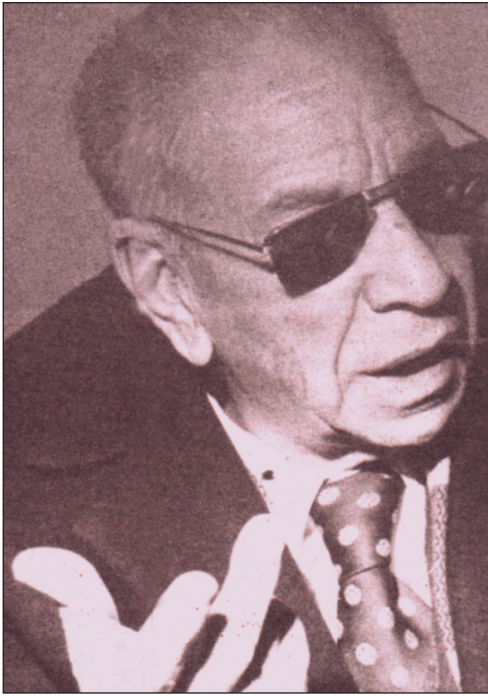
كتب السيد سلام الشمام مرارا، وعقبت ابنتي السيدة فائدة ال ياسين ولم تر ان تترك (سلام) وحده، وهي من كرائم بيت من بيوتات الكاظمية المعرفة في الادب والعلم، ولكن (سبق السيف العذل) فقد انشئ مخزن المجاري وقام، ولابد ان يدل نتته وصنانه.

كنت اتمنى وفي مجلس الامانة - كما اعلم - عدة مستشارين من رجالات بغداد المحترمين - وفيهم المؤرخ والطبيب والتاجر والاشعري.. واخرون - وكلهم افاضل كرام.. اقول:

كنت اتمنى لو سألني رجال الامانة قبل بناء مرفق المجاري عن مكانة موضعه في تراث بغداد وتاريخ بغداد.

يوسفني ان اقول ان الموضوع الذي تلقى فيه مياه المجاري اليوم كان بالقرب منه بالاسب (مشرعة الروايا) التي كان ينقل منها صفوة ماء دجلة ونقلته الى دار الخلافة وقصر الخلفاء في مدينة ابي جعفر المنصور

محمد القبانجي وبرنامج الرفوف العالية



محمد القبانجي



صديقة الملاية

لأمر في حينه .. فعن للدروبي ان يسعى في ذلك ونذهب الى مكتبه في الشارع التجاري المتفرع من شارع الرشيد بمنطقة مجمع المصارف فنحاول إقناعه ما استطعنا الى ذلك ، وننقل اليه رسالة ود تحية ، ودعوة بأسم المدير العام للإذاعة والتلفزيون . وفعلنا ذهبنا اليه ، وتحدث الدروبي معه حديث القلب للقلب ، مذكراً اياه بأن الإذاعة إذاعته ، والمناسبة مناسبتة ولا احتفال بدون حضوره ...

فتمتلل القبانجي وأنفجرت أساريه قليلاً ، ولكنه لم يتنازل عن عدم الحضور ، وأكتفى بطلبه منا نقل شكره للمدير العام وتهانيه لأسرة الإذاعة ، وتعل بأن مريض وأن طبيبه الشخصي لايفك عن مصاحبته ...

فما كان من الدروبي الا أن قال له : يا أبا قاسم .. امامنا أسبوع على موعد الحفل ، وإن شاء الله ستكون في أتم الصحة والعافية ، ثم اننا لن نجبرك على المكوث طويلاً والتفت إلى طبيبه الذي كان حاضراً وطلب منه العون في ذلك!

وبعد تردد أعطى القبانجي أملاً بالحضور ولكن علينا أن نتواصل معه هاتفياً .. وبعد يومين من المتابعة أعلن موافقته وحضر حفل الإذاعة في موعده ومكانه المقرر في - نادي الصيد- وسط احتفاء الجميع بتقديمهم السيدان وزير الاعلام والمدير العام للإذاعة والتلفزيون ، طارق عزيز ومحمد سعيد الصحاف.

وبعد حوالي الساعة من بدء سهرة تلك السهرة ، همس الدروبي في أذني قائلاً إن القبانجي قد أخذه الاستمتاع والانتشاء فلنستمر أرتيابه ... وأرجو أن تدعوه للمشاركة غناء.

وقوراً أعلنتُ للمحتفلين أن ابن بغداد وبلبلها الغريد ، فنان العراق الأول المتوّج في مهرجان الموسيقى العربية بالقاهرة ، يشارككم الفرحة ويهدي الإذاعيين بعضاً من شذاه الفواح ، ونظمه العذب ، ولحنه الشجي ...

وكان ذلك ... فصاح وأطرب وغنى ساعة من الزمن كانت بطعم بغداد وليلها ومباهج عشاقها ، مثلما كانت ليلة من أجمل ليالي الإذاعة وأهل الفن ظل القبانجي طولها نشوان طرباً يحف به المحتفلون .

أما أبو ماجد ، فما كانت هذه الأجواء الساحرة لتسع فرحته ، فقد أنجز نجاحين في آن واحد ، نجاح حفل ميلاد الإذاعة .. ونجاح تألق الحفل بالقبانجي الكبير .

عُرف عبد الحميد الدروبي بأنه صاحب الرفوف العالية ، البرنامج الإذاعي المتميز الذي عمّر طويلاً في إذاعة بغداد ، لكنه لم يعرف كونه مديعاً في مرحلة عمله الأولى وإذاعيا شغل مسؤولية أقسام برمجية عدة كان من أهمها قسما التنسيق والمكتبة الصوتية - مجتمعين ومنفردين - وفي هذين القسمين الحيويين اللذين يشكّلان العمود الفقري لكل إذاعة ولد برنامج الذي أخذ بالأسماع ومجامع قلوب محبيه حيث جعله الدروبي رحمه الله واحه ندية جمع فيها أزاهير الألحان التراثية العراقية والعربية وقدمها بإضمامة فواحة الأريج للسامعين والمتذوقين بشكل خاص مقرونة بحسن الأداء ونكهة الإلقاء والمعلومة الفنية الغنية.

سألته في أول عهدي بالإذاعة عن أصل فكرة - الرفوف العالية- فقادني الى المكتبة الإذاعية القديمة وأراني رفوفها العالية فعلاً التي ماكانت لتطال إلا بسلم عال أيضاً وقال إنه لما وجد فوق تلك الرفوف كما كبيرا من (الأسطوانات) المكونة والمتروكة التي كانت تبث قبل تصنيع الشريط الصوتي المعروف ب(البكرة) فقد تولدت لديه فكرة استثمارها في برنامج يحمل الاسم نفسه ويُعرف بها وبأصحابها من المطربين والمطربات مثلما يعرف بجوها ويبتئها وألوانها الغنائية.

ومن المفارقات التي حصلت معي أن صديقاً نعى إليه المطربة البغدادية - صديقة الملاية- وكانت تعاني من المرض والفاقة في سننها الأخيرة ، فما كان من الدروبي إلا أن يأسي لهذا الخبر ويسارع الى تقديم حلقة خاصة عنها، وما إن بُثت حتى هاتفته - صديقة - نفسها قائلة له بصوت متعجب خفيض وبلهجتها البغدادية : (عينني أبو ماجد أني صديقة ... صدقه لعينك أني بعدني طيبة ما تمت).

وعلى ذكر الموت - الموت حق - كان الدروبي يتطير من ذكره ، ولهذا فإن الفنان الإذاعي الكبير المرحوم عبد الله العزوي غالباً ما كان يتعمد ذكر أخبار (وفيات وهمية) أمامه ، فيلهض الدروبي ويغادر مجلسه فوراً !

والحديث عن الإذاعي الدروبي يعني الحديث عن إذاعة متنقلة ، بتاريخها وإذاعيها والآلاف المؤلفة من صوتياتها البرمجية والموسيقية والغنائية. ومما أستذكره عن - أبي ماجد - أيضاً في هذه الأسطر أنه في بواكير السبعينات ولدى التهيئة لاحتفاء ذكرى تأسيس إذاعة بغداد عُهد ليينا مع بعض الزملاء وضع مفرداته ، ومما أقرحناه دعوة الفنان الكبير محمد القبانجي لحضور الحفل الساهر ، ولكن كيف السبيل الى ذلك والقبانجي كان حينذاك قد أعرض عن الإذاعة ومسؤوليها وجفاهم زعلاً

بنت جعفر بن المنصور ام الامين هي محلة كبيرة كانت عند باب التين وفيها (الزبيدية) التي كان يسكنها خدام زبيدة ام جعفر . كانت قطيعة ام جعفر زبيدة اعلى البلد ودونها الخندق والخندق الطاهري او خندق الطاهرية نسبة الى طاهر قائد جيش المأمون واليه كذلك نسب الحريم القريب من هذا الخندق فقيل الحريم الطاهري. كان الخندق الطاهري يقطع بين القطيعة وبين البناء المتصل بالمدينة من الغرب والشمال وكانت قطيعة الزبيدية في الاصل لجعفر بن المنصور ثم انتقلت فيما بعد الى زبيدة فسميت الزبيدية كما قال المرحوم مصطفى جواد وقد نسب الى القطيعة ابو عيسى الناقد وابو محمد القطيعي وآخرون.

انا ما زلت اسمي شاطئ دجلة تجاه شارع المحامين (زقاق ٦٤ / موضع شارع ١٥٨) في العطيفية بالربيع (مشرعة الروايا) واعتزال بيتنا الان في اطرافها.

هذا وقد عقد بين مشرعة الروايا في الجانب الغربي ومشرعة الحطابين في الجانب الشرقي (الاعظمية) جسر في عام ٤٤٨ هـ ثم عطل في عام ٤٥٠ هـ وهو الجسر الذي كان بمشرعة القطنين من قبل ثم حول.

وجسر بغداد طرأها - كما كانوا يقولون - وقد كانوا يختارون افضل الامكنة لعقده وقد قال في الجسر على بن الفرج والمحسن التنوخي ما يستحسن من الكلام. وكانت دجلة زاهية بالزوارق (السميريات المبرانيات) وكانت عدتها في ايام الخليفة الناصر (٣٠٠٠).

هنا وجه من وجوه تراث بغداد الذي تحمل ذكره ساحة عبد المحسن الكاظمي في مدخل الكاظمية شمالي مدينة السلام بغداد.

لاقيت السيدين الكريمين امين بغداد ووكيله ورجال الامانة مرات وهم يولونني من اللطف والمودة والتقدير ما لا استطع نسيانه وانا احس فيهم ما تحمله قلوب رجال بغداد من حب كبير واهتمام بالغ بمدينة السلام بغداد ام الدنيا وسيدة البلاد وحاضرة الدنيا وقبة السلام.

انا لا ارتاب ان السيد امين بغداد اطلع على كتابي (صورة بغداد في التراث) الذي اهديته الى بغداد بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمجلس الاداري لمنظمة العواصم والمدن الاسلامية، في شهر نيسان عام ١٩٨٦ ولما انه قرأ قصيدة (بغداد مدينة السلام) المشجرة وهي هديتي الى بلدتنا الطيبة ومدينتنا المحببة.

ولا ريب انه قرأ الأقوال في بغداد، وقرأ لمحة من صورة بغداد وقرأ مدائح مدينة السلام وفصلتها على سائر البلاد للشاعر شروان في باب الابواب (حسان العجم) أي حسان الامم، غير العرب، المتوفي عام ٥٩٥ هـ.

وقرأ صورة بغداد في التراث واشعة من لمعاتها التي هي الصورة القلمية الزاهية الزاهرة الباهرة التي رسمتها في عام ١٩٨٦ واكاد لا اشك في انه قرأ تحية بغداد للعواصم العربية والاسلامية شعرا ونثرا، التي رسمت فيها صلة بغداد بامهات الاقاليم والبلاد.

تلك هي صورة بغداد في نفسي وفي نفس (البغداة) اهل بغداد القدماي والجند قديما وحديثا من قبل ومن بعد وهي صورة بغداد في نفوس اهل العراق كلهم اجمعين. ان (ساحة الكاظمي) التي يقف بها تمثال (شاعر العرب) المرحوم (الشيخ عبد المحسن الكاظمي) هي فلذة من افلاذ بغداد، وهي قطعة من اديم بغداد الجميل، اهدي هذه الوثيقة الى السيد (امين بغداد) وسلامة له، وسلام عليه، مع التحيات الطيبات، والاماني وخالص الاعتراز. من مجلة المورد 1981

دينار. كما ارسل معه خمسة من الزرافين النفاطين المختصين بالحرب، المتقنين صناعة الاحراق بالنار (من رجال التصنيع العسكري) وقد استفاد جيش صلاح الدين من النفط ومن النفاطين المختصين، وثم وقوع النار في ابراج الفرنج الثلاثة في عكا واحترقت وسقطت وتلفت وكتب صلاح الدين الى ديوان الخلافة يبشره بالنصر والفتح، ولسان حال الكاظمية ابدأ اقول اينها شاعر العرب، " وطني انت كل ما اتمنى .

ها هي ذي (الكاظمية) التي يستقبل شاعر العرب في (ساحة الكاظمي) زوارها الكرام من كل الجهات.

و(الحريم الطاهري) المنسوب الى طاهر بن الحسين الذي كان من عظماء دولة بني العباس .

ولا يعلم احد بلغ فيها حديثا ولا قديما كما قال الحصوي وكان اول من جعلها حريما عبد الله بن طاهر بن الحسين، وكان ادبيا شاعرا جوادا وكانت اليه الشرطة ببغداد، وهي اجل ما لي يومئذ وكان يلي خراسان والجبال وطبرستان والشام ومصر. وكان قصر ببغداد وهو الحريم، وكانت منازل الى طاهر في الحريم، وهو من مرافق شمالي بغداد المعروفة.

وكان في الحريم الطاهري رباط الحريم، من عمارات الخليفة الناصر لدين الله الذي اسسه عام ٥٨٩ هـ وموضعه شمال قصر عبد الحسين الجلي كما قال المرحوم مصطفى جواد وكان في الحريم دار الصنعاني العمري العدوي القريشي اللغوي الاديب المحدث النحوي الفقيه (٥٧٧-٦٥٠ هـ) تولى اصحاب وزير بغداد تجهيزه ودفنه فقبر في داره بالحريم الطاهري في العطيفية اليوم بالقرب من شارع المحامين (زقاق ٦٤ محلة ٤١ حي الزهراء).

وفي دار طاهر بن الحسين قبر المعتضد والمكتفي والمنقي من الخلفاء وقد نقل رفات هؤلاء على اثر الغرق في عام ٦٤٦ هـ الى تربة العباسيين بمحلة الرصافة وذلك بعد اكثر من ثلاثة قرون من وفياتهم.

ولا انسى ان الناصرة كان رتب طعاما للصوفية ولغيرهم في رباطه بالحريم وكان يتردد الى الرباط فاذا لم يحضر يوما من الايام يحمل طعامه الى الصوفية. وينسب الى الحريم كثير من العلماء والشاهير.

واما (الحربية) عند باب حرب ببغداد، فهي محلة كبيرة مشهورة تنسب الى حرب بن عبد الله احد قواد المنصور وكان يتولى شرطة بغداد وولي شرطة الموصل وقد قتل عام ١٤٧ هـ.

والحربية كالبلدة لها اسواق من كل شيء وهي من محال بغداد الكبيرة المعروفة في خطط مدينة السلام.

وينسب الى الحربية طائفة من اهل العلم، منهم: ابراهيم بن اسحاق الحربي، الزاهد العالم النحوي اللغوي الفقيه المتوفى عام ٢٨٥ هـ وهو صاحب التصانيف الكثيرة.

(وباب التين) محلة كبيرة على الخندق بآزاء قطيعة ام جعفر وبها قبر عبد الله بن احمد بن حنبل دفن هناك بوصية منه وذلك لانه قال "قد صبح عندي ان بالقطيعة نبيا مدفونا وان اكون في جوار بني احب الى من ان اكون في جوار ابي واما جعفر المسومع المروي ابن بني أي موسى بن جعفر الكاظم من اهل البيت وهو موضع مقابر قريش التي فيها قبر موسى الكاظم الذي كان يعرف قبره باسم (مشهد باب التين) و(المشهد) و(المشهد الكاظمي) و(مشهد موسى الكاظم) و(المشهد بمقابر قريش) ومقابر قريش بباب التين و(مشهد موسى بن جعفر بالجانب الغربي) .. الخ. و(القطيعة) قطيعة ام جعفر، وهي زبيدة

من ذكريات (أيام زمان) أبراهيم عرب يروي بطولاته وحقي الشبلي يبحث عن أصحاب العقول

فخري الزبيدي باحث فولكلوري وفنان وممثل كوميدى ومقدم برامج ومؤلف كتاب بغداد من 1900 الى 1934 ومن مؤسس المتحف البغدادي شغل وظيفة مدير العلاقات العامة في امانة بغداد لسنوات طوال وله كتابات وذكريات لطيفة عن ايام زمان . في هذه الصفحات يروي الزبيدي جزء من ذكرياته



لكن حدثا مهما حدث عام 1925 حين أعلنت شركة بيضافون انتاج اسطوانات لجميع مطربات ومطربي بغداد المشهورين ثم الآخرين من مطربي ومطربات العراق في البصرة والناصرية والموصل، وقد نشرت الشركة هذا الإعلان في الصحف البغدادية الصادرة آنذاك. يقول اعلانها:

تعلن شركة بيضافون كومباني أبو غزال لأصحابها بطرس وجبران بيضا. أنها رأت محبي الطرب في العراق وضواحيها محرومين من كل ما يبعث للنفس سرورها وللقلب أنتعاشه، وبعد درس الأسباب تبين لها أن هناك سببين وجيهين:

1- عدم وجود اسطوانات غناء من القراء العراقيين الممتازين.
2- غلاء الفونوغرافات.
وعليه أخذت (اشترت) أصوات أشهر المطربين العراقيين ومن بينهم مطرب العراق السيد محمد القبانجي ومطرب الموصل السيد سلمان الموصلوي. وانشأت لها محلا في خان دلة ببغداد لبيع الجملة والمفرد، وكذلك فونوغرافات بقيمة 50 روبية (1920).

الأغنية الفاحشة:

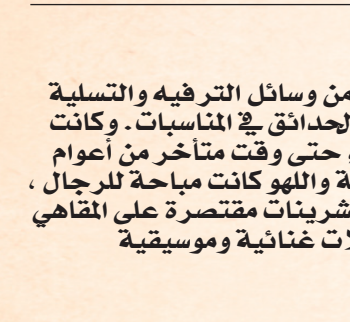
لقد انتشر استخدام الفونوغراف في بغداد في منتصف العشرينيات. وكان عام 1926 - 1927 عامي انتشار الاسطوانات في بغداد بعد قيام شركة بيضافون بانتاج اسطوانات لاشهر مطربات ومطربي ذلك الزمان، لكن بعض المطربين والمطربات ومنتجي الاسطوانات غير المرخصة راحوا يصدرونها باصوات عراقية متنوعة ودخلت للاسواق شركات صغيرة مختلفة، وراح هواة الطرب يتداولون اسطوانات تحمل اغاني عراقية (من الادب المكتشف (، وما اشبه اليوم بالبارحة !!!

فبالأمس حدث هذا في ظل الاحتلال البريطاني للعراق عام 1917 حيث بات العراق لسنوات بلا دولة ولا هم يحزنون، واليوم يحدث هذا في ظل الاحتلال الامريكي أيضا حين تراجعت الأغاني العراقية الرصينة وتراجع الفن الرفيع العريق، وشاعت أغاني البرتقالة والبيتنجانة ورقص الكاؤولية وهز الأرداف والبطون بما يسيء للفن العراقي وللمرأة العراقية بعد أن سقط الوطن في هاوية الزمن الرديء .

اغنية هيموني هالبنات!!
في ذلك الوقت من عام 1926 صدر الحكم القضائي في بغداد بما يسمى بقضية الاغاني الخليعة ونشر الاعلان التالي في الجرائد:

نظرت محكمة الجزاء في العاصمة في الدعوى المقامة ضد المغنية جلييلة وزملائها، بناء على نشرهم الاغاني المخالفة للاداب في اسطوانات الغرامفون واصدرت الحكم بالحبس العادي لمدة ثمانية ايام على جلييلة وعشرة ايام على المغني اسماعيل أمين وخمسة عشر يوما على جليل خليل وعلى كل من داود عزرا حكاك وحسن ابراهيم (اصحاب شركة الاسطوانات) بغرامة 100 روبية ومصادرة الاسطوانات المتنوعة موضوع الدعوى وذلك وفقا للمادة 203 وببدالة المادتين 54 و 25 من قانون العقوبات البغدادي .

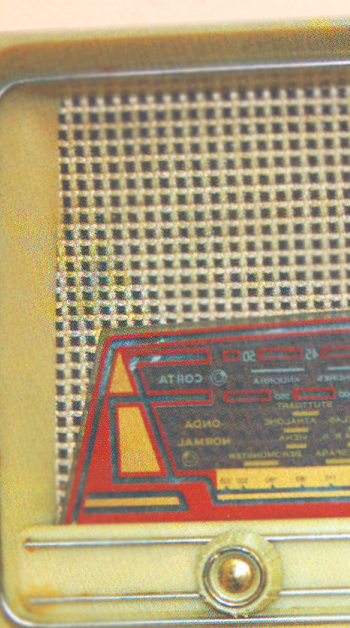
كتاب بغداد ايام زمان
تأليف فخري الزبيدي



ثم شمل بغداد وبعض أطرافها بعد ثلاث سنوات. فإن تأسيسها كان حدثا كبيرا ساهم في تغير ثقافة المجتمع البغدادي وأثر تأثيرا كبيرا في أنماط التفكير. وجعل بغداد تدخل عصر الاذاعة.

أسطوانات بيضا فون:

قبل تأسيس دار الاذاعة العراقية التي بثت حفلات غنائية احيتها مطربات مثل صديقة الملاية وزهور حسين وعفيفة اسكندر عام 1936 كان بعض البغداديين يستمعون الى الاغاني إما مباشرة، في حفلات المقاهي والحدائق أو من اسطوانات الفونوغراف ومن ثم الكرامفون المستوردة والتي كان اقتناؤها مقتصرًا على عليا القوم وبعض المقاهي المتميزة.



ويمكن القول ان التلغراف دخل بغداد عام 1861 والفونوغراف (الصندوق اليعني) عام 1893. والفونوغراف (التصوير) عام 1895. والتلفون والسينما عام 1911 والكهرباء عام 1917.

كل هذه الوسائل الحديثة لم تصل الى العامة أو تدخل حياتهم إنما اقتصر استعمالها على النخبة من الحكام العثمانيين او البريطانيين وأداراتهم الحكومية. ولم يقترب منها العامة أو تقترب منهم إلا بعد عام 1925. أي بعد مرور ما يقارب السنوات الثلاث على تشكيل الحكومة العراقية بزعامة الأسرة الهاشمية، والبداية بتأسيس دولة حديثة كانت باعتراف الملك فيصل الأول، رحمه الله، من أصعب المهام التي عاشها نظرا لكون الملل والنحل العراقية متفرقة ويصعب جمعها وقيادتها، كما قال في رسائله المتألمة على أحوال العراق.

الراديو:

دخل الراديو الى بغداد عام 1927 غير بعض الأحوال، رغم ان وجود الراديو لم يكن شائعا، فيما كان ينظر اليه الكثيرون على أنه سحر من الجن، وأن هذا الجن المتكلم القابع في هذا الصندوق من أعاجيب ذلك الزمن، فيما اعتبره بعض رجال الدين شيئا محرما هو وصندوق الاغاني والفونوغراف (التصوير)، فمثل هذه الأمور - كما يقولون - هي تجديف في الدين ولعب بعقول الناس وإلهاء لها لإبعادها عن أمور دينها وديناها وحرام تدخل البيوت.

لكن المدنية بوسائلها الحديثة مثل الطوفان، لا أحد يقف في وجهها، فسرعان ما انتشرت هذه الوسائل في غضون عشرة أعوام بعد الاحتلال البريطاني للعراق. وما ان حل عام 1936 حتى تم افتتاح من بغداد بأجهزة بث من شركة ماركوني ورغم أن بث هذه الاذاعة كان يغطي وسط بغداد في البداية

- لا يابه لارمضان كبل شكل وهسه شكل ... الناس جانت طيبة والكلوب جبيرة و الدنيه غير دنيه و البشر غير بشر و السمه صافية تدري كبل الكمر ابرمضان جان يطلع 30 يوم بدر وميغيب .

- سألته اشلون جنتو اتلعبون المحببس؟ - كال جنت اكد بالليل وده صلاة الزراويح اني والجماعة على الشط بصوب الاعظمية والله يرحمه اسطه عبد الله الخياط وجماعته (احد اشهر الفكهن في بغداد حينها) يكعد كبالنه بصوب الكاظمية

- اي ابو رحومي واشلون تلعبون ! - جماعة ابو نجم (اسطه عبد الله الخياط) اتنين ايلزمون البطانية وبيتون المحببس ، اصعد اني على صخرة عالية من صوب المعظم و ابواع عليهم واصيح افرز اكد انت ابو الصاية طلك ابو العرقجين اكد انت ابو اليشماغ ، ابو زبون البتة جببه من اليسرة وشتغل الهالهل والتصفيك ،،،،

- زين ابو رحومي اشلون اتجيب المحبس من ذاك الصوب ! - البلم موجود و اخذ فانوس لوكس و ياية واعبر الذاك الصوب واجببه . - ابو رحومي الفانوس ستسوي بيه ، الدنيه كمره وضويه انتة موكلت الكمر يطلع 30 يوم بدر وميغيب . - ابو علاوي بعمود دعبيره للسالفة مومشت و محد فكدده ،،،،،

وعن ذكريات الفن ذكريات الزمن الماضي الجميل يقول الزبيدي

لم يعرف الجمهور البغدادي من وسائل الترفيه والتسلية سوى النزاهات في البساتين والحدائق في المناسبات. وكانت النزاهة محظورة على النساء حتى وقت متأخر من أعوام الثلاثينات، لكن وسائل التسلية واللهو كانت مباحة للرجال، إلا أنها كانت حتى منتصف العشرينات مقتصرة على المقاهي وما يقدم فيها من حفلات غنائية وموسيقية. لقد دخل الفونوغراف (الصندوق اليعني) ببغداد في عام 1893. وهو صندوق كان يذيع الاسطوانات الموسيقية (أم السيم) كما كانت تسمى في أول ظهورها وقبل أن تظهر الاسطوانات الآن بشكلها البلاستيكي بعد عام 1925. وبدخول السينما الى بغداد عام 1911 بات الراديو يظهر في الحياة العامة من خلال صالات السينما ولكن بشكل محدود.

سنة 1947 كان من زملائنا في معهد الفنون الجميلة ناظم الغزالي و المرحوم ناجي الراوي وحامد الاطرقجي و خليل شوقي ومحمود قطان فكونا فرقة الزبانية اذ انضم حميد المحل الينا وكان طالبا في قسم الرسم .

ومن الغريب ان ناظم الغزالي بدأ حياته الفنية بالانتماء الى معهد الفنون الجميلة ببغداد نهاية الاربعينيات اختار فرع التمثيل وليس فرع الموسيقى ، وفي المعهد قدمنا اول تمثيلية على مسرح قاعة الشعب كتبها لنا الاستاذ حقي الشبلي (اصحاب العقول) مثل الغزالي دور (رجب الاخرس) وقدمت نفس التمثيلية من دار الاذاعة العراقية .

يذكر الراحل فخري الزبيدي جانبنا من اهتمام ناظم الغزالي في التمثيل . اثناء التمثيل عملت له مقلبا ، وكان سبب هذا -المقلب- انه يرغب في ان يصبح مغنيا ونحن نعارض ذلك ولكنه ظل مصرا على رايه ففي احدى المسرحيات كان هناك دور - الحاج ناجي الراوي بدور الطبيب وانا بدور الممرض وناظم بدور المريض الذي سنجري له العملية ، وخلال التمثيل قلت للمرحوم ناجي الراوي :

انني اعلم مكل لسنوات ممرض فاعطني الفرصة لكي اجري هذه العملية . ولما كان المشهد الكوميدي ييجيز ذلك فد وافق ناجي الراوي على ذلك .

وكان ناظم ممددا على الارض يرتدي دشداشة العمليات الخضرة واثناء التمثيل رحت اهلس شعر صدره واقول له :

- ناظم جر عدل وابقه ويانه او اهلس شعر جسمك وراسك كله؟ - وكان ناظم يتحمل ويجالد من الالم وهو يقول :

- فدوه فخري استر عليه وشتريد اني حاضر .. ولكني استمررت لمدة عشرة دقائق (اهلس) شعر صدره وهو يتقلب من الالم .

مقابل هذا المقلب المؤلم والمضحك في أن واحد فقد قابلني (بمقلب اكبر) فعندما عقدت قراني على زوجتي الحالية ام علي دعوت جميع الاصدقاء للحضور الا ان ناظم جاء متاخرا في سيارة اجرة ظلت واقفة امام البيت وعندما سألته عن سبب وقوف التاكسي ، قال :

لدي عمل سأعود به .. والظاهر ان ناظم كان يتهيأ لعمل (نكتة) كبيرة امام الاصدقاء .

وبعد ان اتم القاضي عقد القران انسحب ناظم بسرعة الى سيارة التاكسي وخرج صندوقا كبيرا لا نعرف ما في داخله . ولكنه جلبه ووضع امام القاضي وخرج مسرعا .

وعندما فتحنا الصندوق وجدنا بداخله (حجلة للاطفال) . وهذه كانت نكتة الموسم في الوسط الفني آنذاك لانني عندما تزوجت (ام علي) كان عمري 29 سنة وزوجتي عمرها 13 سنة والحجلة كانت ترمز الى ان زوجتي طفلة تحتاج الى (حجلة) ؟

ومن ذكرياته مع المرحوم ابو رحومي (ابراهيم عرب) صاحب الحكايات الفكاهة واللطيفة .

في احد ايام رمضان الكريم كنا مجموعة من الاصدقاء جالسين بعد الافطار مع المرحوم ابراهيم عرب انسولف عن الايام الجميلة والذكريات الحلوة وكيف كان رمضان ايام زمان ولعب المحببس فقال :

- هو رمضان هسه مثل رمضان كبل !!!

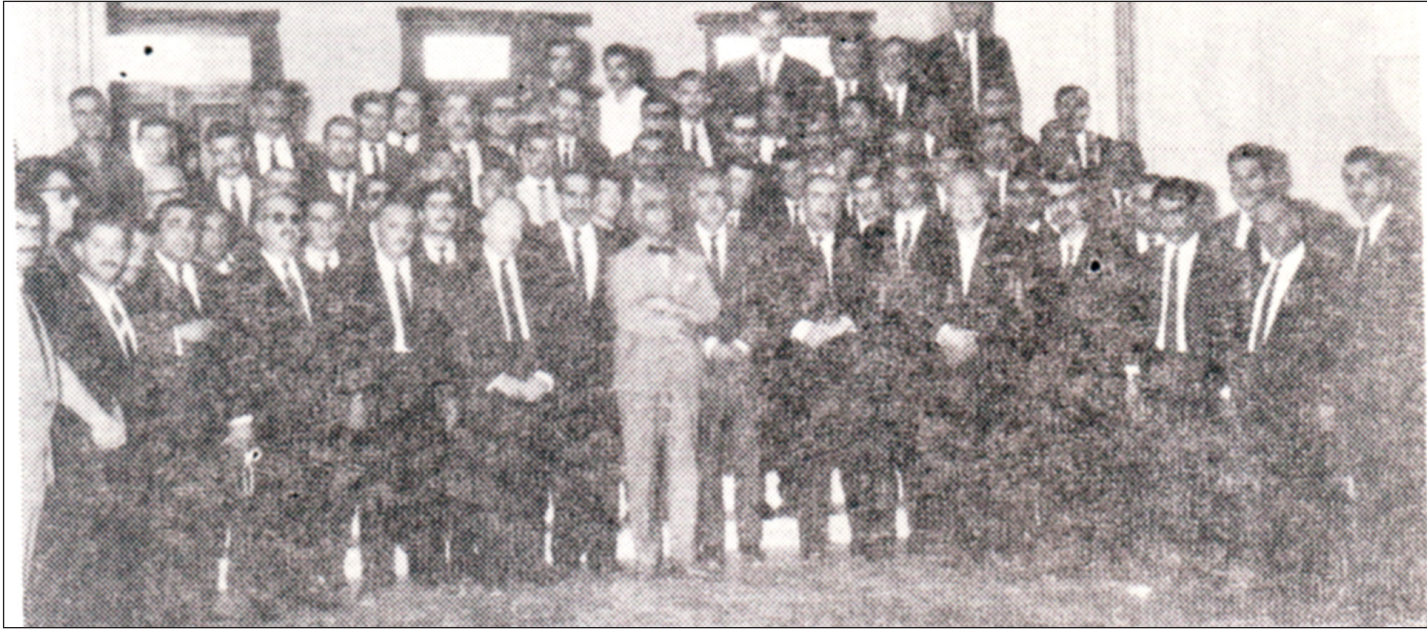
- جاوبته بعمود ابو رحومي رمضان هو رمضان ، هسه والا كبل اشيفرق !

كتاب بغداد ايام زمان
تأليف فخري الزبيدي

متى تأسست المحاكم في العراق؟

في نهاية شهر كانون الثاني من عام 1918 وبناء على اقتراح مستر بوهنام كارتر اصدر القائد العام لقوات الاحتلال بياناً نص فيه على تشكيل محكمة استئناف في بغداد الى جانب محاكم بداية فيها وفي الاماكن الاخرى التي يتطلب الامر تشكيلها، وقد ألغى البيان حق التمييز في محكمة تمييز استانبول وبدلاً من ذلك حول محكمة الاستئناف المذكورة آنفاً والضابط العدلي الاقدم صلاحية تشبه صلاحية المحكمة العليا الهندية للنظر تمييزاً في القضايا التي يقتضى لها تمييز.

احمد زكي الخياط



ومن ناحية اخرى صادق على استمرار العمل في محكمة الصلح والمحكمة الشرعية التي كانت قد تأسست في شهر تموز على ان تؤسس محاكم مشابهة لهما حيث تدعو الحاجة، وبعد مدة اصبحت المحكمة الشرعية ذات شقين محكمة شرعية سنية، ومحكمة شرعية جعفرية، وادعت امور الاحوال الشخصية التي تعود للطوائف غير المسلمة الى محاكم البداية على ان يستعين حكامها عند الحاجة بخبراء روحانيين من تلك الطوائف، وتستمر المحاكم على تطبيق احكام مجلة الاحكام العدلية - وهي القانون المدني التركي - بصورة عامة على ان تخضع للتعديلات التي جاء بها بيان القائد العام، وكذلك يبقى العمل مستمراً بقانون اصول المرافعات المدنية التركي مع خضوعه للتعديلات التي طرأت عليه.

اما المحاكم المدنية التي تحل محل ما كانت تمارسه المحاكم النظامية التركية مع سلطة مدنية وتجارية، فلها سلة قضائية عامة الا في القضايا التي تقع ضمن صلاحيات المحاكم الشرعية، وتكون على ثلاثة انواع هي محكمة استئناف بغداد، محاكم البداية ومحاكم الصلح.

محكمة الاستئناف:

ان محكمة الاستئناف التي تعمل في بغداد هي محكمة الاستئناف العليا لجميع المناطق المحتلة، وتحل محاكم الاستئناف العثمانية الثلاث في ولايات بغداد والبصرة والموصل، غير ان بينما كانت قرارات تلك المحاكم خاضعة للتعديل واعادة النظر فيها من قبل محكمة التمييز في استانبول، فان قرارات محكمة استئناف بغداد، هذه تعتبر نهائية، وتتألف هذه من رئيس بريطاني وحكامين عراقيين بينما كانت محكمة الاستئناف العثمانية تتألف من رئيس تركي واربعة حكام عرب.

محاكم البداية:

كانت هناك في العهد العثماني محكمة بداية في مقرر كل لواء من الالوية ومقرر كل قضاء من الاقضيه، وكانت المحكمة في مقرات الالوية ومقرات الاقضيه المهمة تتألف من رئيس وعضوين، اما محكمة بداءة بغداد ففيها هيئة للشؤون المدنية واخرى للشؤون التجارية، وفي محكمة بداءة الاقضيه غير المهمة فان قاضي الشرع هو الذي يرأس هذه المحكمة ويشترك معه لتأليفها عضوان من الاهالي المحليين غير المدربين على العمل القانوني وكانا يتقاضيان شيئاً من المخصصات عن عملهما فيها.

وبينما كان مجموع محاكم البداية في العهد العثماني في بغداد والبصرة والموصل عشرة محاكم لوية واربعين محكمة قضاء فقد استبدلت هذه المحاكم بالمحاكم الجديدة التالية:

١- محكمة بداية بغداد وتتألف من رئيس بريطاني ونائب رئيس عراقي واربعة اعضاء.

٢- محكمة بداية في الحلة وتتألف من رئيس بريطاني وحاكم عراقي ومعها احد قضاة المحاكم الشرعية، ويعمل الرئيس في عدة

اماكن اخرى فيتراس المحكمة في النجف، وكربلاء ايضاً.

٣- محكمة بداية في بعقوبة وتتألف من رئيس بريطاني وحاكم عراقي وقاضي محكمة الشرع السني.

٤- محكمة بداية في البصرة وتتألف من رئيس بريطاني وحكامين عراقيين.

٥- محكمة بداية في الموصل وتتألف من رئيس بريطاني وحكامين عراقيين، ويتراس المحكمة في اربيل ايضاً.

وإذا كان عدد محاكم البداية غير كاف فمن الضروري ان يزداد كلما امكن الحصول على حكام ذوي اهلية من العراقيين.

محاكم الصلح:

اما محاكم الصلح فكانت في العهد العثماني قد تأسست قبيل الحرب العامة في مكائين او ثلاثة فقط. وبعد الاحتلال تأسست هذه المحاكم في بغداد والبصرة والموصل والعمارة وكركوك.

المحاكم الشرعية:

منذ الاحتلال حتى عام ١٩٢٠ تم تأسيس ثلاثين محكمة شرعية في انحاء العراق وفي بغداد تأسست محكمة التمييز الشرعي مؤلفة من ثلاثة قضاة.

نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية

بعد احتلال البصرة والتقدم الى مناطق العمارة والناصرية المأهولة بالقبائل العربية وافراد العشائر استبان للسلاطات المحتلة ان (القانون العراقي) المطلق في البصرة الانف الذكر لا يمكن تطبيقه تماماً في المناطق العشائرية وان الحكام السياسيين كانوا في مناطقهم بحاجة الى صلاحيات للبت بسرعة في القضايا الحقوقية والجزائية ولتلافي هذا النقص كان مستر هنري دويس قد وضع نصوص هذا النظام في شباط عام ١٩١٦ ومنح فيه الحكام السياسيين سلطة تشكيل

مجلس عشائري او اية محكمة عشائرية اخرى للنظر في جميع القضايا التي يكون فيها احد الطرفين المتنازعين من ابناء العشائر، وذلك بموجب القواعد والعادات العشائرية.

وقد اظهر اثناء تطبيق هذا النظام بأنه يتفق ورغبات العشائر لانه يسر لهم حسم المنازعات بالطرق المألوفة لديهم منذ مدة طويلة.

اما فيما يخص محاكم الجزاء التركية وتطبيق قانون الجزاء التركي، فكان رأى سر يونهام كارتر انه بالرغم من نظريات القانون الدولي القايلة بأنه عندما يتم الاستيلاء على البلاد المعادية اثناء الحروب ينبغي تطبيق قانون العقوبات المحلي لتلك البلاد اذ كان ذلك ممكناً، واذا ما اتفق ذلك مع مصلحة الجيش المحتل، فكان من غير الممكن تطبيقه في العراق لعدة اسباب.

منها ان قانون الجزاء العثماني مكتوب باللغة التركية وان قلة من الضباط البريطانيين كانوا ملمين باللغة التركية من جهة ولان تطبيق هذا القانون يتطلب وجود عدد غير يسير من المحاكم وحكام التحقيق والمدعين العامين اكثر بكثير مما كان يمكن تهيأتهم سواء اكان ذلك من الجيش او من موظفي الحكومة السابقة من جهة اخرى، كما ان القانون هذا يعد غير مرتب، وغير كامل وصعب التفسير، بينما يكون قانون اصول المحاكمات الجزائية التركي هو الاخر مهما كان ادارة ملائمة لما وضع اليه في البلاد الاكثر تقدماً ونفوساً من اجزاء الامبراطورية العثمانية فإنه كثير التعقيد وغير قابل للتطبيق بين السكان اهل الريف والبدو الرحل في بلاد ما بين النهرين.

ولهذا ولأجل تعديل قانون الجزاء التركي، وقانون اصول المحاكمات الجزائية التركي فقد تم اصدار قانونين جديدين باسم (قانون العقوبات البغدادي) و (قانون اصول

المحاكمات الجزائية البغدادي) وقد وضع هذان القانونان معاً لتناسب الاحوال التي تدار البلاد بمقتضاها اثناء الاحتلال ويقصد بهما ان يكونا قانونين مؤقتين وسوف يستبدلان بطبيعة الحال، بعد عقد الصلح، بتشريعات اكثر ايقافاً بالمرام.

فقانون العقوبات البغدادي، يستند الى قانون الجزاء التركي الذي كان معمولاً به في العراق وسائر انحاء الامبراطورية العثمانية في وقت الاحتلال، والقانون التركي هذا يستند بدوره على قانون العقوبات الفرنسي، وحيث ان القانون التركي قد نشر منذ عام ١٨٥٩، فقد ادخلت عليه تعديلات كثيرة غير متقنة عادة فكانت النتيجة ان اصبح قانوناً غير عملي، وغير مرتب وناقصاً ولهذا كان من الضروري ادخال تعديلات واضافات عليه اخذت في الغالب من قانون العقوبات المصري لتشابه كثير من الاحوال المحلية في مصر والعراق فيكون بهذا اسهل تطبيقاً واكثر ملائمة للحالة في العراق.

اما قانون اصول المحاكمات الجزائية البغدادي فقد اعتمد على قانون المحاكمات الجزائية السوداني، والقانون السوداني هذا يعتمد في الدرجة الاولى على القانون الهندي. هذا وتم تشكيل محاكم الجزاء في بغداد وانحاء العراق، بموجب اصول المحاكمات البغدادي على اربعة اصناف هي المحاكم الكبرى، ومحاكم الجزاء من الدرجة الاولى، ومحاكم الجزاء من الدرجة الثانية، ومحاكم جزاء من الدرجة الثالثة.

وتتطلب الاحكام الصادرة من المحاكم الكبرى مصادقة الحاكم الملكي العام عليها.

تأسيس اول محكمة بداءة في بغداد

بتاريخ ١٩١٧/١٢/١٩ اصدر ناظر العدلية بياناً بافتتاح اول محكمة بداءة في بغداد، وفي ٢٢ شباط ١٩١٨ صدر نظام المحاكم المدنية في بغداد على ان يطبق في محاكم

الصلح ودوائر كتاب العدول، ان اهم فترة في هذا النظام هي نصه في مادته الثالثة على ان تجري جميع المعاملات في اللغة العربية. كان هذا اول تطور في العراق اذ ان اللغة التركية كانت هي اللغة الرسمية للمحاكم الى حد تاريخ ١٩١٧/٣/١١ ومنذ الاحتلال كانت الامور غير منسقة وكان بعضها يكتب باللغة الانكليزية، اما هذا النظام فقد وضع حدا لكل ما كان يجري في محاكم بغداد قبل تاريخ ١٩١٨/٤/١٦ ومنذ حينئذ سادت اللغة العربية الجهاز القضائي الجديد لعدة ابناء البلاد، يتألف هذا النظام من ٣١ مادة وان المادة ٣١ منه الغت المادة ٢٦٨ من قانون اصول المحاكمات الحقوقية العثماني. وفي ٢٢ شباط صدر نظام محاكم الصلح.

تأسيس اول محكمة جزاء في بغداد

في تاريخ ١١ اب عام ١٩١٨ صدر بيان تأسيس محكمة الجزاء في بغداد وعين لها عضوان عراقيان هما المحامي الحاج عزت، وروبين افندي، اما كاتب الضبط فبعد الحميد عبادة والكاتب الثاني احمد سامي.

تأسيس مجلس التمييز الشرعي

بتاريخ ١٤ ابا عام ١٩١٨ انشئ مجلس التمييز الشرعي وعين له محمد سعيد الزهاوي المفتي السابق رئيساً، وكل من عبد الملك الشواف، والسيد خضر اعضاء.

توحيد المحاكم واحداث الدائرة العدلية

ان الاعتبارات السياسية والادارية التي ادت الى توحيد الادارة في ولايتي بغداد والبصرة في ايلول عام ١٩١٨ كانت هي نفسها التي دفعت بالمسؤولين الى توحيد القضاء في هاتين الولايتين ففي اليوم الاول من شهر كانون الثاني عام ١٩١٩ تم التوحيد نهائياً فألغى (قانون المناطق المحتلة) وجميع القوانين الهندية والبريطانية المعمول بها

من مقاهي البصرة القديمة

عبد الكريم العامري

مرحلة أواخر الخمسينيات والستينيات كون جميع رواده من الأدباء والمثقفين أمثال (بدر شاكر السياب ومحمود عبد الوهاب ومحمد جواد جلال ومحمد الحبيب ومحمود الظاهر ومحمد خضير ومحمود البريكان وزكي الجابر وجبار صبري العطية والمؤرخ حامد البازي والدكتور عبد الهادي محبوبة رئيس جامعة البصرة آنذاك والدكتور نزار الشاوي والدكتور مصطفى الخضار ومصطفى النعمة والسيد إبراهيم الخضيري ورجب بركات ومهدي العطية والدكتور شاكرا الجباري وغسان المناصير وعبد الخالق الحمد) وأسماء أخرى من مثقفي المدينة.

• مقهى طارش:

أسس عام ١٩٤٠ وموقعه في منطقة أم البروم وكان ملتقى لأهالي العمارة كونهما قريب من كراج بصرة - عمارة وكان صوتا حضيري أبو عزيز وداخل حسن يبعثان من غرامافون المقهى عبر اسطواناتها وفي حديث سابق لنا مع صاحب المقهى (طارش سهل مطر) منذ ستة أعوام قال (في نهاية الستينيات كان يرتاده (تومان) الشخصية الطريفة في مدينة البصرة والذي يعزف الناي بأنفه ومؤسسها هو الحاج حبيب الملاك وقد عمل فيها منذ ذلك الحين مجيد مشيمش وانتقلت بنايتها عام ١٩٧٤ الى جوار سينما الكركن والتي دمرت قبل حرب ٢٠٠٣ في العراق.

• مقهى الصكارة:

تأسس في بداية الأربعينيات ويقع في منطقة البصرة القديمة بالقرب من السوق الحالي ويعتبر ملتقى للصكارة في المدينة وتعني بهم أولئك الذين يهتمون بتربية الطيور والدجاج الهندي والتركي وكانت تجرى فيها مسابقات (الصكارة) للتباري بين الديكة وهي من الألعاب الشعبية واصل هذه اللعبة من الهند ويعود تاريخ اللعبة كما ذكر احد رواد المقهى إلى العصر العباسي حيث أدخلت هذه اللعبة الى البصرة عن طريق الزائرين كونها ميناء للبوخر القادمة من البحر ولللعبة جمهورها وحكاياتها الجميلة سنأخذكم معها في استطلاع آخر قريب.

• مقهى السيمر:

أسسه في بداية الأربعينيات السيد (زكي) في منطقة البصرة القديمة مقابل المحكمة القديمة وعمل فيها (فاضل القهوجي) ثم المرحوم ناصر أبو مؤيد وكان يرتادها آنذاك مختار المنطقة (محمد الحلفي) ومن ميزات انه يحمل سوطا ليضرب فيه كل من يتشاجر من أهالي المنطقة بعد جلسة تعقد ما بين المتشاجرين .. ومن روادها أيضا (صبري أفندي) كون سكنه قريبا من المقهى .. سمي المقهى بهذا الاسم نسبة الى منطقة السيمر حيث كان يشق المنطقة نهر تدخله الزوارق (البلم العشاري) وهي محملة بالقصب والسعف.

• مقهى الجمعية:

تأسس في بداية الثلاثينيات ويقع في منطقة سوق هرج في منطقة البصرة القديمة.

• مقهى شنيص:

تأسس في بداية الثلاثينيات في منطقة سوق هرج في العشار مقابل جامع الخضيري.

• مقهى زاير علي:

شيدت في الخمسينيات من القرن الماضي بالقرب من سينما الحمراء في الجانب الثاني من نهر العشار وصاحبه الزاير علي (ابو طالب) حيث كان ملتقى لوجهاء البصرة ورؤساء عشائرها.

• مقهى سيد هاني:

عمل السيد هاني في الستينيات في عدة مقاه حتى استقر به المقام في مقهى خاص به شيدته في بداية الثمانينيات من القرن الماضي في منطقة العشار وهو مقهى كان يرتاده وما يزال عدد من الأدباء والصحفيين والفنانين وهو ملتقى أدبي وثقافي في كل أيام الأسبوع.

• خاتمة:

ها نحن نصل الى نهاية جولتنا بعدما أخذناكم الى سنوات لم يعيشها اغلبنا ولكنها سنوات ستبقى محفورة في ذاكرة أبناء المدينة وهناك عدد من المقاهي التي لم نستعرضها ولكن سنكتفي بذكر اسمائها منها مقهى حسون أبو التت وشيد قرب مقام الأمير ومقهى عبد عبد السادة قرب ساحة سورين وفيه اقدم (مقهجي) في المدينة ومقهى أبو كاظم في منطقة العشار .. وقبل ان أسدل الستار لا بد ان اشكر زميلي محمد الدخيلي الذي جمع لي بعض المعلومات عن تلك المقاهي.

ولعبة الدومينو والمقهى معروف على نطاق عربي وعالمي وترد له الرسائل من الذين سبق وإن زاروها من جميع دول العالم كما كتب عنها في الكثير من الصحف والمجلات المحلية والعربية مثل (المتفرج والفكاهة وألف باء والعربي) وكان من روادها أيضا المرحوم المؤرخ (حامد البازي) واللاعب الدولي توفيق حسين في لعبة كمال الأجسام واللاعب الدولي قاسم خشم في كرة القدم والمصارع محمد بهلوان وقد تعرض المقهى لقتائف المدفعية خلال حرب الثمانينيات ولرتين وأما الذين عملوا فيها (عبد الوهاب ابو الشورية عام ١٩٣٣ وكاظم العاني عام ١٩٤٦ وحسن هزاع عام ١٩٥٥ وخليل سلوم عام ١٩٥٨ وحسين أبو علي عام ١٩٦٣ والحاج جعفر حسين عام ١٩٦٧).

• مقهى الناصرية:

هذا المقهى تأسس في أواخر الثلاثينيات وموقعه في منطقة العشار (شارع المطاعم حالياً) وكان ملتقى للوافدين من الناصرية كما يرتاده المسافرون كونه يقع قريبا من كراج سيارات الناصرية.

• مقهى الشناشيل:

كان في بداية الثلاثينيات سمي مقهى (هاتف) نسبة لصاحبه ومؤسسه السيد (هاتف عبد المطلب) وكان من رواده في تلك الفترة (عبد القادر باشا أعيان والشهيد صالح المناصير وعبد السلام باشا أعيان) كما أن المطربين (عوض دوخي وعبد الحميد السيد) كانا من رواده والمؤرخ المرحوم حامد البازي وزين العابدين النقيب وي اعتبر من أقدم المقاهي في البصرة وقد أعطى بناؤه العماري التراثي جمالية للمكان حيث الشناشيل والأقواس وكانت تجرى فيها لعبة المحبب المعروفة خلال أمسيات شهر رمضان المبارك وتلعب فيه أيضا (الدومينو) والطاولي والشطرنج ومن عام ١٩٧٣ أدخلت لعبة البليارد فيه.

• مقهى منكاش:

شيد في منطقة الجمهورية (الفصلية سابقاً) يعود تاريخ إنشائه إلى بداية الأربعينيات أسسه المرحوم (محمد حسن منثي) ويعدها عمل فيه الحاج (جمعة منكاش) وسمي المقهى باسم أبيه وكان ملتقى لوجهاء المناطق وشخصياتها أمثال الحاج حاتم الجوزي والحامي محسن الزبيدي ثم كانت ملتقى للشعراء الشعبيين (مهدي السوداني ونوري حيان وعلي الكعبي وفالح الطائي والمرحوم عطا عودة الشهد وجبار اللامي وصابر خضير وعباس جيجان) وكانت تعقد فيه أماس في شهر رمضان وتقام فيها لعبة المحبب.

• مقهى البدر:

أسسه السيد مهدي سليم البدر عام ١٩٤٥ ويقع على ضفاف شط العرب وتعتبر من أهم مقاهي البصرة الثقافية في

ولنأخذكم معنا في جولة قصيرة عبر زمن البصرة لنقلب أوراق مقاهيها بعاملها وروادها .. وكل ما جاء هنا من معلومات أخذناها عن لسان ناس عاشوا تلك الفترة واحتفظوا بها في رؤوسهم التي ما تزال تشعر بالحنين إليها:

• مقهى العشار:

في منطقة العشار وفي سوق التجار شيدت هذا المقهى في فترة الثلاثينيات من القرن الماضي وأخذت اسمه من اسم السوق الذي كان ملتقى لتجار البصرة وقد كان رواده من الشخصيات المعروفة في لواء البصرة آنذاك ومنهم (عبد الكريم الخضيري وعبد النبي الشمخاني والحاج سليمان الزكير وعبد القادر باشا أعيان والحاج إبراهيم الجباري وإبراهيم الحاج عيسى والحاج عيسى محمد صالح والحاج محمود فخر الدين وهاشم النقيب وغيرهم من الشخصيات والتجار) وذكر لنا الحاج جاسم عيود عبد الكريم ابن صاحب المقهى أن مزايدات كانت تجرى في المقهى ما بين التجار على التمرور خلال الموسم وتتم الصفقات بينهم ومن الأشخاص الذين عملوا في مقهى التجار نذكر (كريم الجلاج وسعد البغدادى وعبود عبد الكريم) وفي فترة التسعينيات من القرن الماضي انتقل المقهى الى موقع آخر قرب الضريبة القديمة في منطقة الصالحية وكان يرتاده آنذاك عدد من الوجهاء نذكر منهم (الحاج سالم العبادي والشهيد ليعبي حنظل والشهيد عبود التميمي والسيد كاظم البطاط والسيد إسمايل الجابري والشهيد غازي بن محمد العريبي) حيث كان يعمل بها (جاسم عبود عبد الكريم وهاشم عبد الكريم) وكان يرتادها أيضا عدد من الأدباء والصحفيين.

المقهى تحول في بداية هذا القرن الى اسم آخر وسمي (مقهى المجالس العربية) حتى بيعه وقلقه عام ٢٠٠٣.

• مقهى أم السباع:

أسسه المرحوم الحاج ناجي المعروف (أبو العشر) عام ١٩٣٣ وتعتبر من أقدم مقاهي البصرة ويقع في منطقة البصرة القديمة، سمي المقهى بهذا الاسم كون بوابته تحتوي على تمثالين لأسدين، وقد كان يرتاده كثير من الفنانين والأدباء نذكر منهم المرحوم المطرب الكويتي (عوض دوخي) والمرحوم الدكتور (عبد الوهاب لطفى) وكان المرحوم السيد صبري أفندي (أمين صندوق البصرة) أو كما تقول كلمات الأغنية التراثية (صندوق أمين البصرة) من المدمنين على الجلوس في هذا المقهى لساعات طويلة وحدثنا السيد (صبيح جعفر حسن) وهو واحد من أصحاب المقهى بأنه كان منتديا أدبيا وثقافيا ومن عماله المرحوم (عبد الوهاب أبو الشورية) الذي كان عضوا في حزب الاستقلال ويحرض الناس ضد الاستعمار والدفاع عن فلسطين وقد أدخلت الى المقهى لعبة البليارد لأول مرة في البصرة بعد ان كانت تقدم النارجيلة

بموجبه عدا تسعة قوانين هندية وقانون انكليزي واحد وضعت في جدول خاص وقد نفذ هذا التبديل بدون صعوبة ورحب به السكان لأنه لأنه ايدل نظاما قضائيا اجنبيا بنظام قضائي مألوف لديهم. وكذلك ادمج النظام القضائي في الموصل، الذي كانت ترغب حكومة بريطانيا في ادارته على حدة توقعها لتخصيص ولاية الموصل الى فرنسا (مؤتمر الصلح) بالقضاء الذي طبق في جميع المناطق المحتلة.

وفي الوقت نفسه تأسست ادارة عدلية يرأسها (السكرتير العدلي) المسؤول تجاه الحاكم الملكي العام عن ادارة شؤون العدلية في البلاد من دون ان يقوم بواجبات ادارية فعين مستر بونهام كاتر لهذا المنصب واصبح عنوانه في اللغة العربية (ناظر العدلية).

ولما كان هذا المنصب يعادل منصب وزير العدل فقد كتب مستر بونهام بهذا الصدد يقول " ان بعض السبب لهذا التبديل" قد يلتفت الناظر، فان في بريطانيا العظمى، من دون سائر الدول الاوروبية، لم تكن فيها وزارة العدل في يوم من الايام، ولا يمكن تحرير عدم وجود وزارة مثل هذه باسباب منطقية، ان ذلك يرجع الى اسباب تاريخية، كانت الطريقة الانكليزية هذه قد اتبعت في معظم المستعمرات البريطانية وتوابعها، من دون تبرير الاسباب التاريخية الموجودة في بريطانيا نفسها. ومن الممكن ان يناقش المرء بأن تأسيس وزارة للعدل يمكن ان يكون شيئا مفيدا لادارة شؤون العدلية حتى في بريطانيا. ومهما يكن من امر فان هناك فوائد غير مشكوك فيها عند اقامة نظام قضائي في البلاد، في وضع المحاكم بعهدة رئيس اداري بصفته جزءا من الجهاز الاداري المركزي، مطلع على سياسة الحكومة واتجاهات المحاكم معا، وعرضة لنقد زملائه وجمهور المواطنين. ولا تعتمد الادارة الكفاء للشؤون العدلية على الاحكام الصحيحة التي تفرد بها المحاكم والتي يجب ان يكون الحكام فيها مستقلين تمام الاستقلال فحسب، وانما تعتمد ايضا على الشؤون الادارية كذلك. وينطبق هذا على الاخص حيث توجد جنبا الى جنب، كما في هذه البلاد (العراق) مجموعتان من المحاكم نظامية (المدنية) وشرعية، وحيث توجد مناطق غير قابلة يكون السكان فيها على درجة غير كافية من التقدم الذي يتطلبه وجود نظام عدلي راق يتصف بالصلاية ..

تسلم بسر بونهام كاتر عمله هذا في الوقت الذي كان يعتقد بحق الرعايا البريطانيين الموجودين في الارض المحتلة.

دعوة المحامين للتسجيل

خلال الاشهر السبعة التي انتهت في ١٩١٧/١٢/٢١ كان هناك عدة محامين يمارسون المحاماة في محاكم الصلح والشرعية فقط دون ان يكونوا مسجلين لدى العدلية ولهذا فقد اصدر ناظر العدلية بتاريخ ١٩١٨/١/١٦ الاعلان التالي.

إعلان يتعلق بالمحامين

ليكن معلوما عند جميع المحامين (الافوكاتية) ان من يرغب ممارسة مهنته في محكمتي البداة والاستئناف عليه ان يستخرج لنفسه رخصة بها من نظارة العدلية، وعليه يجب ان يقدم عريضة (استدعاء الى الدائرة المذكورة تتضمن البراهين الكافية التي تدل على كفاءته والقيام بوظيفة المحاماة احسن القيام، وتكون هذه البراهين مما يتبين منها ان صاحب العريضة حائز على شهادة من مكتب حقوق او رخصة من نظارة العدلية التركية. ويجب ايضا الحاق الشهادة بالعريضة مضمومة اليها، وبعد بضعة ايام ينشر قانون المحامية الذي سنه ناظر العدلية وقد صدق عليه الحاكم الملكي العام.

عن كتاب تاريخ المحاماة في العراق 1973



ذكريات خاصة عن الجسر الحديدي

خالص عزمي



في نهاية عام ١٩٤٦ باشرت شركة هولوا البريطانية بإنشاء جسر الصرافية الحديدي الذي يربط ما بين العطفية بالقرب من جامع برائثا في الكرخ؛ والوزيرية في الرصافة؛ وحينما كان والدي يأخذ الأسرة معه الى (الجرداغ) الذي ابتناه على ساحل دجلة في الكرخ (بالقرب من مقهى البيروني حاليا) لقضاء عطلة نهاية الاسبوع كنت اشاهد كيف ان المهندسين والعمال يواصلون الليل والنهار من اجل انجازه في اقرب وقت ممكن؛ ولكن وثبة الشعب الكبرى ضد معاهدة بورنسموث والمواجهات الدامية ما بين المتظاهرين وقوات الامن والتي نهب ضحيتها عدد من خيرة شباب النضال البطولي؛

عرقلت خطط التشييد لفترة طويلة؛ حتى عاودت الهيئات العاملة فيه استكمالها وجرى افتتاحه على عهد حكومة جميل المدفعي في نهاية عام ١٩٥٢؛ حيث شاهد الجمهور لأول مرة القطار العراقي الذي كان يزير جانبيه شعار (س ح ع) -سكك حديد الحكومة العراقية- ويرفع على هامته علم البلاد؛ وهو يطوي فضاءات الجسر السبعة؛ مارا من على شرفته العالية عابرا نهر دجلة بمسافة ٤٥ مترا من ضفته الشرقية حتى ضفته الغربية. لقد غطت الصحافة هذا الحدث الهام بتفاصيل وصور دقيقة؛ لا يكاد القارئ يطالع عليها الا ويتصور نفسه أحد مشاهدي ذلك الافتتاح التاريخي.

حينما كان الجسر في طور الانشاء عام ١٩٥٠ دخلت ومجموعة من الاسدقاء الغربيين كلية الحقوق التي كانت تتوسط الرزاق الذي يربط شارع الاعظمية بشوارع الوزيرية؛ مواجهة بذلك مقتربات الجسر.

لم يكن هذا القائم على قواعد صلبة؛ مجرد معبر قطار او سيارات او مارة وحسب؛ بل كان شرفة منفتحة على فضاء بعيد تجري من تحته مياه دجلة الخير؛ ومما زاده بهاء ومتعة اكادفه على ارض عريضة تربط ما بين الشارعين؛ حولتها امانة العاصمة الى حديقة يانعة سندسية تنام على حواشيهالوان من زهور المواسم المتعاقبة مع الازوار الطبيعية البرية التي كانت تستلقي على اكتاف غرين السواقي؛ تحيطها برعايتها شجيرات الدفلى الزاهية بالوانها الجذابة.

ومع ان لكلية الحقوق؛ حديقة واسعة تزين واجهتها؛ الا ان اغلب الطالبات والطلاب؛ كانوا يفضلون حدائق الجسر للتمتع بفرات الاستراحة ما بين الدروس؛ ولو استطاعت شجيرات وحشائش تلك الحدائق من التحدث؛ لمحتنا اسرار رومانسية لعشق هامت به قلوب؛ وغردت لد او اصره عناد الحب. وما انذا بعد كل تلك السنوات الغارية؛ استطيع ان استجلب صور أولئك الزملاء وهم يتخذون من شجر صفصاف تلك الفرائيس ملاذا للمناجاة في احاديث كأنها قطع سكر(القدن) وهي تذوب على الشفاه. ويا طالما صاحبها تغريدات غنائية من هنا وهناك كان اصحابها يبشرون بمطربين واعدين لو سبحت لهم الفرص بذلك؛ او بقصائد شعرية في كل بيت منها انفاص ابن ابي ربيعة؛ او شوقي؛ او أمين نخلة؛ او حافظ جميل؛ او غيرهم من اوتار اللوعة والهيام لم تكن تلك الهمسات الشعرية او الوصلات الغنائية العفوية هي ابرز ما اذكر وحسب؛ بل كان للنقاش السياسي ما بين الطلاب على اختلاف معتقداتهم او انتماءاتهم دوره البارز في تحديد مواقفهم من كل ما كان يحدث في العراق او البلاد العربية وتداوله الاخبار؛ ولم يكن ذلك النقاش اليومي مقتصرا على طلبة

مضرجين بدمائهم؛ وتقول صحافة تلك الايام وهي تصور الانتفاضة بأن كلية الحقوق كان لها الحظ الاوفر من الاقتحام والتصدي والتضحيات.

لقد كانت حكومة رئيس اركان الجيش (نور الدين محمود) القمعية التي استعملت ا لقسوة المتناهية في معالجة الامور...عاجزة تماما عن ايقاف ذلك المد الجماهيري المتصاعد؛ بخاصة وان تلك الجماهير الغاضبة التحمت مع كل ما حشدت ضدها السلطة من قوى الامن فهزمتها المنتفضون شر هزيمة؛ وكان ذلك التصدي البطولي ايدانا بفشل الحكومة الساحق في معالجة الاوضاع عن طريق استعمال القوة؛ مما اضطرها على تقديم الاستقالة الفورية لكي تحل مكانها حكومة جميل المدفعي؛ التي عملت جاهدة على تهدئة الاوضاع والغاء جميع الاجراءات الاستثنائية التي اتخذت سابقا والتي كانت السبب الحرك لتلك الانتفاضة الشعبية العارمة.

اما النموذج الثاني الذي شهده جارنا الجسر في تلك الحقبة؛ فهو الاحتفالات والمهرجانات في مختلف المناسبات؛ ومن ابرزها ما غصت به الشوارع المحيطة لمناسبة العيد الاول لجلوس الملك فيصل الثاني على عرش العراق؛ ففي ٢ مايس من عام ١٩٥٢ بلغ الملك الثامنة عشرة من العمر؛ فعقد اجتماع مشترك لمجلسي الاعيان والنواب؛ ونودي به ملكا فأدى القسم الدستوري؛ ثم خرج من قاعة البرلمان لينطلق من باب المعظم نحو البلاط لقد اخترنا حدائق جسر الصرافية المطلة على شارع الاعظمية الرئيس مكانا نرغب منه ذلك الاحتفال التاريخي؛ تطلنا منصة كبيرة كانت معدة للتصوير السينمائي والنقل الاعلامي؛ وما هي الا سويجات حتى اقتربت منا العربة الملكية التي تجرها الخيول العربية وقد جلس فيها الملك بملابسه العسكرية البيض والى جواره ولي العهد الامير عبد الاله؛ وهي تتجه نحو البلاط الملكي المتواضع (كان يقابل معهد الفنون

الجميلة في الكسرة)؛ وهو لا يبعد عن الجسر الحديدي الا بضعة امتار. وفي مساء ذات اليوم تالأت الاضاءة الملونة على جانبي الجسر؛ بينما كانت السماعات تنقل الاغاني والاناشيد المفرحة في تلك المناسبة الفريدة.

وتدور احداث نموذجنا الثالث في ربيع عام ١٩٥٤؛ حيث ازبد دجلة وارعد وفاض بشكل لم يسبق له مثيل في العصر الحديث وتقدم بسيواله الجارفة حتى غمر مشارف الجهة الشرقية من بغداد؛ وواصل زحفه الى ما خلف السدة؛ فاضطر مجلس الوزراء لاتخاذ قرار عاجل؛ باخلاء الرصافة وضواحيها ونقل السكان الى الكرخ وما جاورها على الفور؛ ولكن وزير الداخلية يومذاك سعيد قران؛ اخذ كامل المسؤولية على عاتقه ومنع اي اجراء سلبي بهذا الشأن؛ وطلب وزارة المعارف بحشد طلاب الثانويات والكليات والمعاهد؛ وتلقهم بالتعاون مع الجهات المختصة الى المناطق التي يحتمل غرقها؛ وذلك لمساعدة الجيش في سد الثغرات ورفع مستوى السداد بواسطة اكياس التراب الى اعلا.

لقد كان للقطار الدور الاول في نقل المتطوعين مع اطنان من اكياس التراب عبر جسر الصرافية الى اقرب المناطق التي يصلها؛ لتتولى بعدها الباصات وسيارات النقل العسكرية من مواصلة النقل حتى المواقع القريبة من ارتفاع مناسيب المياه. كان عملنا شاقا لم يسبق لنا ان مارسنا مثله طوال مدة الدراسة الا ان شعورنا بتحمل بعض المسؤولية ومشاهدتنا لكثير من الزميلات وهن يحملن الاكياس ويقمن بتسليمها البنا لوضعها على السداد قد شحذ فينا نخوة والهمة وخفف عنا كل ذلك الارهاق.

حينما اتممنا مهماتنا وعدنا الى بيوتنا ثم الى مقاعد الدراسة؛ لاحظنا أن صديقنا القطار ظل مواصلا رحلاته الجهادية من على ذلك الجسر العتيق لايام وأيام؛ حتى زال الخطر تماما عن بغداد.

في الصرافية وما حولها؛ مواقع وبيوتات بارزة؛ تبدأ من محطة شرقي بغداد؛ حيث الحصن التربوي الاول (دار المعلمين العالية)؛ ثم كلية الهندسة؛ فالثكنة العسكرية؛ وموقع موسيقى الجيش؛ ثم مطبعة الرابطة الشهيرة بادارة الشخصية التقدمية المعروفة عبد الفتاح ابراهيم (هي دار الجمهورية ودار الحرية للطباعة فيما بعد)؛ فكلية الحقوق؛ حيث تتناثر حولها بعض البيوتات المعروفة لآل المميز؛ وآل عريم؛ وآل الجورجي والحاج محمود رامز؛ والشاعر نعمان الكنعاني؛ والحاج طه المعمار؛ والدكتور اسماعيل ناجي...الخ وكان لزميلنا عبد الرزاق المسعودي؛ بيت صغير انيق يجاور الجسر؛ نلتقي فيه احيانا لنقضي سهرة الخميس من اول كل شهر ونحن نستمتع الى تغريدات(مطربة الشرق ام كلثوم) المنقولة على الهواء مباشرة من مسرح الازيكية؛ ونستشيق في ذات الوقت عبر دجلة الذي ينقل لنا في ليالي الصيف الوانا من المقامات والبسات وهي تنطلق من حناجر بغدادية لا يطيب لاصحابها السهر الا بين احضان نهرهم الخالد. ومع ان الجسر الذي يمر عليه القطار لا يبعد سوى خطوات عن ذلك البيت الكريم؛ الا ان سحر الغناء وتجاوبنا مع كل نغمة في القرار والجواب؛ كان يغطي تماما على اصوات اعجلات القطار وهي تطوي سكة الحديد الى محطة غربي بغداد.

في حزيران من عام ١٩٥٤؛ صعدنا نحن الطلبة الذين ان لهم ان يخربوا في مسيرة الحياة العملية الى سطح كلية الحقوق؛ لنلتقط مع الاساتذة الاجلاء والزميلات الفضليات؛ صورة النخرج التذكارية؛ كان المصور بارعا حقا؛ وكانت اللقطة خلاصة واقعية جسدت كل ثانية قضيناها في رحاب تلك الكلية العريقة. وحينما اعاد النظر اليها اليوم اجدتها تشير بود واحترام الى ذلك الجار الانيق (جسر الصرافية) الذي ترك في قلوبنا وحواسنا اجمل الذكريات.

× صحفي عراقي رائد

تقاليد الاعراس في كركوك

شاكراً صابر الضابط

ويشجعانه ويقضيان الوقت معه بالسرور. وبعد الغروب يبحث الاصدقاء عن العريس (الزعلان) فينقلونه الى دار احد اصدقائه الذي يكون قد اعد طعام العشاء لهم. وهناك فرق العادة بين كركوك وبغداد في ليلة (الدخلة) حيث ان امرأة خاصة ترافق العروس وتسمى (ينكه) وتبقى معها في مخدع الزوجية حتى يدخل العريس الداخل بعد اداء ركعتين من الصلاة وتقوم ال(ينكه) بدور الوساطة فتسلم يد العروس الي يد العريس قائلة (خذ امانتك)، اما باقي المراسيم فهي متشابهة عدا ان الامراة ال(ينكه) التي كانت ترافق العروس تأخذ في الصباح (نيشان الشرف) الى اهل البنات وتأخذ منهم الهدية.

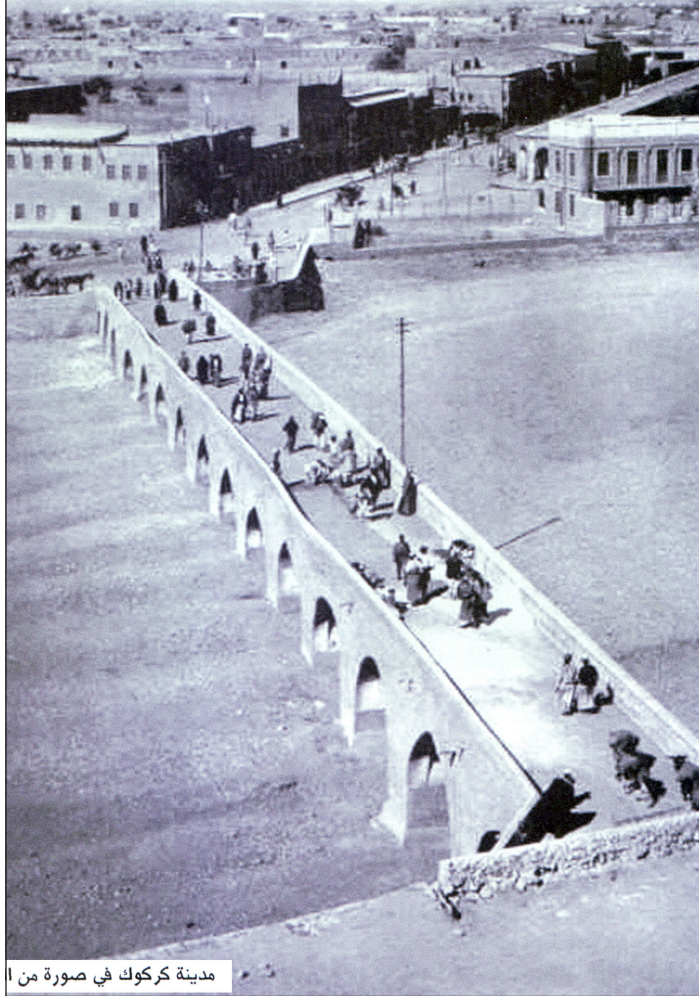
وفي اثناء (وكة) العروس على اهل زوجها يكون العريس قد وصل الى بيت عمه فقبل أيديهم. ومن تقاليد التركمان الاضافية للزواج في القرن الماضي كانت توضع ليرة ذهبية في حذاء العروس اثناء انتقالها الى بيت العريس والمرأة التي تنزع حذاءها تأخذ الليرة.

اما جميع الهدايا فيكون في اليوم السادس حيث تجتمع نساء الاقارب والاهل، والاصدقاء في بيت العريس مع هداياهن، وكانت العادة القديمة في كركوك ان فرش قماش على الارض فتجلس على احد طرفيه ام العريس، وتضع هديتها امامها، تقابلها ام العروس في الطرف الاخر وتضع هديتها امامها ايضا وللمجتمعين الخيار في تقديم هداياهم حسب ما يرغبون فيضعونها اما على هدية ام العريس او العروس وتعلن حالها حالا وتسجل في القائمة، وبعد الانتهاء تعطي ما جمعت امام ام العروس الى العروس لتكون لها وتحت تصرفها اما ما جمعت امام ام العريس فانها تفرز لسد ديون العرس، وان العادة السائدة اليوم في ذهاب العروس الى بيت اهلها في اليوم السابع من الزواج، في كركوك كان في الماضي لا تنهب الا بعد اكملها سنة كاملة من زواجها وفي حضنها طفلها، وكان عيبا ان تقابل ابوها والطفل في حضنها بل كان يجب ان تنترك الطفل في غرفة اخرى حتى لا يراه ابوها. ويعزي سبب فشل العريس في اداء واجبه ليلة الدخلة في كركوك كما هو في بغداد الى جملة اعتقادات منها: عقد عقدة بقراءة دعاء اثناء عقد الزواج، وبذلك لا يتمكن العريس من (اداء رسالته) الا بعد حلها ومن العادات المعروفة في كركوك اذ زفت عروسان في يوم واحد الى محلة واحدة يعرض العروس الاولى الى خطر العمق، فعليه من الضروري ان تجلس العروس الثانية امام الاولى وتلقم اظفارها، كذلك تسبب زفاف الامراة الثانية عقم ضررتها ولذلك يجب ان تقف على قدر مقلوبة على ظهرها لتكون في عصمة من العمق، وهذه تسمى (الجيسة) - (الكيسة) في بغداد اما العلاج فانه متشابهة في كركوك وبغداد تقريبا ففي كركوك تزور المكبوسة (مزار الشيخ مججمة ومزار نبي الله دانيال)، وفي بغداد تضع قدمها في الماء الذي غسل به الميت في نفس اليوم. او تمسك (خرزة) في افسها ثم تطرحها الى داخل باقتها فتسقط من الاسفل وذلك ثلاثة مرات او تضع (طين خاوة) في ماعون اثناء تمجيد صلاة الجمعة ثم تغسل به حتى تزول منها (الجيسة) - (الكيسة).

وان عادة اشعال (الجيفة) كانت معروفة في كركوك وبغداد وكانت الضربة تشعلها في بيتها عندما يدخل زوجها القادم من بيت زوجته الثانية حتى تبطل السحر.

مجلة التراث الشعبي العدد الاول 1963

ان يكون احدهما متزوجا فينصحن العريس



ثم ينتقل طست الحناء بواسطة جمهرة من النساء الى بيت العروس، ولا فرق بين مراسيم الحناء في بغداد وكركوك الا في هذه الامور، ان قطعة الذهب التي وضعت في الحناء تمسك بها العروس بيدها اليسرى ولا تعطيه لاية امراة لكي لا تكون تلك المرأة عقيما، يجب ان يتوفر في الامراة التي تحنى ايادي وارجل العروس ان تكون سعيدة في حياتها الزوجية وكان طفلها البكر ولدا، ولم يتزوج زوجها بامرأة ثانية وان عادة وضع قطعة من سكر (النبات) في فم العروس ورشق الحناء بالسقف غير معروفة في كركوك.

اما في الزفاف، فان اقارب العروس تقف في الباب وتمنع العروس من الخروج من بيت اهلها طالبة منها هدية فتعطي ام العروس هذه الهدية.

وكانت تنقل العروس الى بيت العريس على الخيل. وفي كركوك يردف غلام خلف العروس على ظهر الحصان الذي ينقلها من بيت ابها الى بيت زوجها اعتقادا بأن وليدها البكر سيكون غلاما، كما ترفع امامها الشموع، القران والمرأة، ومن تلك الفروق ايضا انه عندما تصل العروس الى البيت يكون العريس مع الاصدقاء في السطح يراقب مجيئها وعند وصولها يرمي (السعدوج) بمحتويات (منديله) الذي يتضمن عادة الحليوات والنقود على رأسها ورؤوس النسوة المحيطات بها.

وعندما تدخل العروس الى الغرفة يفارق العريس الدار حيث يكون قد (زعل) وترك الدار، فيذهب مع السردوجين الى احدى الحدائق او اماكن الزيارة في المدينة، ويكون (السردوجان) عادة من اهل الخبرة ويشترط ان يكون احدهما متزوجا فينصحن العريس

الى الفتيات في حالة الرغبة في الزواج، لأنهن اعرف، من غيرهن بهذه الفتيات، وقد تراقق ام الفتى هؤلاء النسوة لاختيار الفتيات. كما ان (المهر) المعجل لا يكون حجر عثرة في الزواج عند التركمان لانهم يتساهلون في ذلك كثيرا وانما يحدث النقاش والرد والبدل حول المهر المؤجل حيث يصر اهل الفتاة بزيادته الى اكبر كمية ممكنة لكي يأمنا حقوق الفتاة بعدئذ.

وللحناء مراسيمها الخاصة في كركوك عند استعمالها في حفلات الزواج اذ انها تعجن في طست في بيت العريس وتوضع في داخلها قطعة من الذهب وتحنى منها إبهام العريس



بـ (يازما) أو (لاجك) وهو عبارة عن قطعة قماش مصنوعة لهذه الغاية، ثم تشد جيبيها من فوق ال(يازما) أو ال(لاجك) بـ (بوياما) وهو من الحرير الاسود او من (تورمه) من الحرير الملون، وكانت التركمانيات يلبسن (الصاية) و(السيخمه) ولكنهما كانا يختلفان عما يلبسه الرجال وكانت المرأة التركمانية تلبسها من فوق الفستان، وتكون فساتين التركمانيات على اشكال متعددة منها (كوملك) ، (عزبه) ، (أنتاري) و(تيللي فيستان).

ان البغداديات والكرويات كن متحجبات وكانت التركمانيات يلبسن عباةتين في ان واحد احدهما على الرأس والثاني فوقها على الكتف. وكانت تلبس نقابين ايضا احدهما فوق الاخر.

وكان الوشم (الدقة) من متطلبات الزينة والجمال لدى البغداديات فكانت توشم الخد او الخدين او الحنك او ملتقي الحاجبين او الصدر واليدين او الرجال والفخذ، بينما لم نجد له اثرا عند التركمانيات وكانت (الديره م) - وهي عبارة عن قشور الجوز الاخضر - تستعمل لصبغ الشفايف لدى نساء المدينتين واليوم يستعمل (احمر شفاه) بدلا عنه، اما ال(كيرشان - السبيداج) فقد كان من مصنوعات كركوك فكانت اعز هدية تقدمها التركمانيات الى اخواتهن البغداديات لان (كيرشان) كركوك كان احسن واجمل من (سبيداج) حلب، اما (الحف) - ازالة الشعر من الجسم - واستعمال (الحناء) وال (وسمة) المخلوطة بالحناء فقد كانت معروفة لدى البغداديات والكرويات، وكذلك الحلى الذهبية ما عدى (الخرزامة) فكانت نادرة الاستعمال من قبل التركمانيات.

3 - الزواج: ان اوائل الزواج واوخره متشابهة في كركوك وبغداد مع وجود بعض الفروق يمكن انتقاها، ولقد اجاد الاسنان ابراهيم الداوق في مقالته (تقاليد الزواج عند التركمان - الاختيار) على احسن واكمل وجه، كما ان الاستاذ جميل الجبوري قد تناول في مقالته (تقاليد الزواج في القرية العراقية).. الجانب الذي يعقب الاختيار في الزواج فاجاد ايضا كسابقه، ان التقاليد الواردة في المقال الاخير هي نفس تقاليد الزواج في مدينة بغداد وهي مشابهة لتقاليد التركمان في كركوك مع وجود بعض الفروق التي سأنبأها ادناه:

ففي كركوك تقوم بعض النساء اللواتي يعين الاقمشة او يعملن كمطبات للنساء أو (الحفاوات) بدور الوساطة في ارشاد الامهات

1- زي الرجال:

ان الازياء المستعملة لدى البغدادية وتركان كركوك متشابهة لان (العرقجين) و (الجرابية) التي يستعملها البغدادية كلباس لرأس يقابلها الـ (بورك) والـ (جمداني) الكروكي ولكن المدقق يجد الفرق فقط في نوعية الملابس فيجد سواد (جر اوي) الكروكي اكثر منه لدى البغدادية وان عرقين البغدادية مصنوع من القماش بينما (بورك) الكروكي يصنع حياكة، والبغدادية يلف الجرابية على شكل عريض بينما الكروكي يلفها رفيعا، وعلى الاكثر يلف من تحنها (الموشكي) الحريرية. كما يلاحظ ان الكروكي يجعل (الراكيش) في الجانب الایسر بحيث تظهر اللفات على شكل كسرة.

والبغدادية والكروكي يستعملان (الصاية) - الزبون، القميص، لباس، والسترة) اما الفرق بين هذه الملابس فان الصاية البغدادية تكون اما مفتوحة الياخة، او مقلوبة الياخة على الياخة من تحت العنق بحيث تزرر، اما صاية زيون الكروكي فتكون مفتوحة الياخة ويلبس الكروكي من تحنها صدرية تسمى (سيخمه) أي المضيق بالتركية، وتكون من نفس قماش الصاية، قصيرة تنتهي تحت الحزام مفتوحة الياخة من الاعلى الى الاسفل وتزرر بازرار من الشريط الحريري تعمل خصيصا لها وتخيظ على طول حافة الياخة اليمنى في مسافات متقاربة ومتساوية على شكل عقد صغيرة، بينما يخاط على طول حافة فتحة الياخة اليسرى بنفس المسافات شريط على شكل حلقات صغيرة، فتدخل فيها العقد الموجودة على على الياقة اليمنى فتزرر (السيخمه).

اما قميص البغدادية فان اردانها تنتهي مع الرسخ بينما اردان قميص الكروكي تأخذ بالعرض بالعرض والطول بعد الرسخ حتى تكاد تصل نهايته الى الارض فتسمى حينذاك (بيكنيج)، فيلونها على النزاع من فوق الصاية والسترة. وينتهي (لباس) البغدادية من الاسفل عند مفاصل الركبة بينما (لباس) الكروكي يصل حتى كعب الرجل ويسمى عند ذاك بـ (بالاغ).

ويكاد يكون ملبس القدم واحدا بين المدينتين مع اختلاف بسيط في نوعية الخياطة ولونه. لان البغدادية والكروكي يلبسان الخف المعروف بـ (اليمنى) في كركوك، ولا يختلف خف الكروكي عن خف اخيه البغدادية الا باللون، حيث انه احمر في بغداد واسود في كركوك.

وحزام البغدادية كان يصنع من الجلد او من قماش يخاط على شكل شريط. اما حزام الكروكي فانه يستعمل قماشاً يتناسب لونه مع لون الصاية، وبينما كان السكين لا يفارق حزام البغدادية كان الخنجر لا يفارق حزام الكروكي.

وكان لدى التركمان ملابس اخرى لم يستعملها البغدادية كـ (صاقو) وهو عبارة عن سترة قصيرة تنتهي مع الحزام مفتوحة الياخة له جيبان من الداخل في الزاوية السفلى منه. و(الشيروال) يلبسه التركمان شتاء فوق اللباس من تحت الصاية، وكان الـ (ديزليغ) والـ (ايشليغ) من ملابس التركمان اللبئية. وهما كالسترة يصنعان من القماش المحشى بالقطن مثل اللحاف.

2- زي النساء وزينتهن:

ان ازياء التركمانيات في كركوك تختلف نوعا ما عن ازياء اخواتهن البغداديات فان (القوطة) المستعملة لدى البغداديات لغطاء الراس لاستعمل في كركوك، والتركمانية تشد راسها

من أوراق الملك غازي

(كتاب في حلقات)

أوراق الملك غازي كتاب اصدره الباحث زهير كاظم عبود ولاهمنيته والوثائق التي نشرها تعيد ذاكرة عراقية نشر حلقات منه

الحلقة الثانية

زهير كاظم عبود



وصولها الى بغداد، فقالت: وصلت صاحبة الجلالة الملكة يرافقتها سمو الامير عبد الاله الحدود في تل زوان الساعة الثامنة والدقيقة ٣٥، واستقبل جلالته هناك مدير شرطة الموصل، وكانت معه سيارتان مسلحتان، ولما وصلت الملكة بئر عكلة استقبلها متصرف الموصل وسار في ركابها الى الموصل حيث نزلت في دار المتصرف وأمضت ليلتها هناك.

وفي الساعة التاسعة قبل الظهر ١١/٣٠/١٩٢٣ غادر ركابها الموصل الى كركوك بالسيارة تخفرها مصفحان الى الكوير ورافقتها المتصرف ومدير الشرطة وفي الكوير استقبلها متصرف اربيل ومدير شرطتها وودع جلالته هناك متصرف الموصل ومدير شرطتها الى مقر وظيفتها. ورافقتها كل من متصرف اربيل ومدير الشرطة الى (التون كوبري) حيث كان في استقبال جلالته متصرف كركوك ومدير شرطتها اللذان رافقا الركب الى كركوك اذ نزلت ضيفة كريمة في دار المتصرف وفيها تناولت الغداء مع الحاشية الملكية.

وفي الساعة السادسة والدقيقة ٥٠ بعد الظهر استقلت الملكة وشقيقها القطار الخاص مع الحاشية من كركوك الى بغداد وكانت قوة من الشرطة بقيادة احد معاوني، وفي الساعة السادسة صباحا شرقت جلالته العاصمة وكان في استقبالها في المحطة الامير حسين مندوبا عن جلالته الملك غازي وصبيح نجيب مدير الشرطة العامة وتحسين قدري مدير التشریفات ومحمود حلمي امين العاصمة وعبد الرزاق حلمي متصرف لواء بغداد وعدد كبير من كرام السيدات والاولاد حيث كان قد اعدت لهن في المحطة غرفة خاصة للانتظار.

وعند نزول جلالته من القطار استقلت سيارة ملكية خاصة وقصدت قصر الحرم العام وقدمت التعازي الى جلالته الملكة والوادة ومن هناك ذهبت الى قصر والدها الملك علي.

ويذكر الكاتب السيد سالم محمد كريم في مقال له منشور في جريدة الجريدة بعنوان (صورة قلمية لزفاف الملكة عالية) يقول فيه:

سافر الامير عبد الاله شقيق الاميرة عالية الى الاستانة في تركيا مكلفا من والده الملك علي ليصطحب شقيقته الاميرة عالية الى بغداد لانتمام مراسم الزواج بزوجها وابن عمها الملك غازي ملك العراق وبعد ان امضى بضعة ايام هناك اتى الى بغداد وبصحته الاميرة وقد سلكا الطريق البري الذي يربط تركيا بالعراق مرورا بلواء الموصل العراقي ومن ثم كركوك فالى بغداد حيث حلت في قصر والدها الملك علي ببغداد بجانب الكرادة بانتظار اجراءات الزفاف من ابن عمها بعد انتهاء فترة الحداد على عمها الملك فيصل الاول.

الوثيقة رقم (4)

المملكة العراقية البلاط الملكي

الخميس ٦ شوال عام ١٣٥٢ هـ

٢٥ كانون الثاني عام ١٩٣٤ م

اليوم الخميس عصرا تم عقد قراني على بنت عمي الاميرة عالية وبحضور عدد غير قليل من الاقارب والاصدقاء، وقد قررت عدم اقامة أي مراسم احترامما لكبير الاسرة الهاشمية في العراق والذي تم بعد ايام الحداد على روحه

وعلى هذا دعي مجلس الوزراء الى عقد جلسة خاصة وسرية لمعالجة هذه المشكلة، وبعد اخذ ورد ارتئي اقتناع الملك غازي بضرورة العدول عن ترجيحه الاقتران بكريمة ياسين الهاشمي على الاقتران بكريمة عمه.

وليس من المستبعد ان يكون نوري السعيد وبقيه افراد العائلة المالكة والمقربين منهما قد اذعنوا الملك غازي بالتخلي عن فكرته، وهكذا اتخذت التدابير المستعجلة لانجاز هذا القرار.

وتمت الخطوبة والملكة عالية في الاستانة بعد وفاة الملك فيصل بعشرة ايام أي في يوم ١٨ ايلول ١٩٢٣ وكلف الامير عبد الاله بالذهاب اليها واحضارها فجاءت الى بغداد في يوم ٢ كانون الاول ١٩٢٣، اما يوم الزفاف فقد تأجل الى ما بعد انتهاء ايام الحداد وبعد مرور اربعة اشهر على وفاة الملك فيصل الاول من غير جلبه ولا ضوضاء ومن غير ان تقام أي مراسم في البلاد احتراما لرئيس الاسرة الهاشمية واول ملك للعراق بعد استقلالها.

وقد وزعت الخيرات على الفقراء في جميع انحاء العراق واقامت الحكومة ولائم في الساحات العامة واطعمت الطعام لكل من حضر وقد صرفت في كل لواء ١٥

دينارا للخيرات، وامر الملك بتوزيع مبالغ اخرى على المعاهد والجامعات الخيرية في العاصمة.

اما حفلة القران فكانت غاية في البساطة لم يدع اليها احد غير امراء البيت الملك والوزراء وقاضي بغداد ورئيس مجلس النواب مراعاة للحداد وحضر الملك عبد الله حفلة القران هذه واقتصرت على تناول طعام العشاء على المائدة الملكية.

وانتقلت الملكة عالية الى بيتها الجديد (قصر الزهور) وفيه اخذت تتلقى دروسا في العلوم والاداب على مدرسين ومدرسات ممتازين.

والحقيقة التي لا جدال فيها ان الملك غازي لو تزوج ابنة ياسين الهاشمي (نعمت) لتغير العراق وسارت البلاد في غير الاتجاه الذي سارت عليه فيما بعد، وفي تاريخ العال كثر من الامثلة على ان زواج الملوك يغير مجرى تاريخ اوطانهم التي يحكمونها فقد تسعد وقد تشقى نتيجة ذلك.

ويروي توفيق السويدي جانبا من الاحاديث التي دارت بينه وبين الدوتشي موسوليني في شهر ايار ١٩٣٤ بخصوص زواج الملك غازي فيقول: "سألني موسوليني عن زواج الملك غازي الاول بابنة عمه، فعلق على ذلك قائلاً: انه كان يرجح ان يتزوج الملك غازي باحدى بنات ملوك الدول العربية المجاورة للعراق او البلاد الاسلامية حتى تتأثر الصلات وتتأيد الوشائج فيما بينهم، وذكر بصورة خاصة من انه لو كانت الفرصة قد اتاحت لجلالة الملك غازي للزواج باحدى بنات الملك فؤاد ملك مصر، لكان ذلك احسن للرفق ان اذا فائدة البقاء في دائرة شقيقة من القرابة مع العلم ان التوسع فيها يؤدي الى نتائج للبلاد".

وقد نشرت جريدة الاستقلال وصفا لاستقبال الاميرة عالية عند دخولها الى الحدود العراقية التركية حتى

بالاميرة عالية ابنة عمه الملك علي.

وقد ذكر مصطفى العمري - مدير الداخلية العام يومها - ما يؤيد هذه الرواية فقال: في يوم ٢٦ ايلول ١٩٢٣ زارني محمود جلي الشايندر ومصطفى عاصم، وقد روى لي الاخير، ان ياسين الهاشمي كان يسعى الى تزويج ابنته من الملك غازي، الا ان السعيد وناجي شوكت وجعفر العسكري قد تدخلوا في الامر، ووسطوا الامير عبد الله والملك علي فحالوا دون ذلك، وعقد النكاح على بنت الملك علي، بالرغم من عدم وجودها في العراق.

اما ناجي شوكت فقال في هذا الخصوص:

تلقيت اشارة تلفونية من ديوان الرئاسة لحضور جلسة مستعجلة فوق العادة يعقدها مجلس الوزراء في ذلك اليوم، فلما حضرت وجدت نوري السعيد في حالة هياج شديد، وهو يقول: (هاي عايزة يصيح ياسين عم الملك) ثم اتضح لي ان الملك يرجح ان يكون اقترانه باحدى كريمات ياسين الهاشمي على اقترانه بكريمة عمه، ثم اضاف يقول: وقد ظهر بعد ذلك انه كانت هنالك صداقة بين بنات الهاشمي وبنات الملك فيصل.

الوثيقة رقم (3)

المملكة العراقية

البلاط الملكي

١/كانون الاول/١٩٢٣

وفي اليوم نفسه استيقظت صباح اليوم مسرعا لاني بانتظار الاميرة عالية حيث ستصل بالقطار الى عاصمة مملكتها.. وسوف انتظرها قرب جنينة الوالدة وقد انبت عني خالي الامير حسين وبعض المسؤولين.

وفي الساعة السابعة و(عشرة) دقائق حضره (حضرت) الى قصر الحرم العام وقد استقبلتها في المدخل وقد بدأ عليها التعب والارهاق من السفر الطويل وقد سررت بقدمها.. وبعد لقاء قصير بيننا حضرة (حضرت) جلالة الملكة الوالدة وقد عزتها بفقيدنا المغفور له جلالة الملك فيصل الاول.

وبعد استراحة قصيرة.. قدمت لها القهوة ولم تتناولها.

ثم ذهبت الى قصر والدها جلالة الملك علي بن الحسين. وقد تركه (تركت) هذه المقابلة القصيرة الاثر الكبير والطيب في نفسي.. لزوجتي ملكة العراق المقبلة.. لقد كنت مسرورا باللقاء برغم قصره.. حمدا لله على كل نعمه.

التوقيع الملك غازي الاول

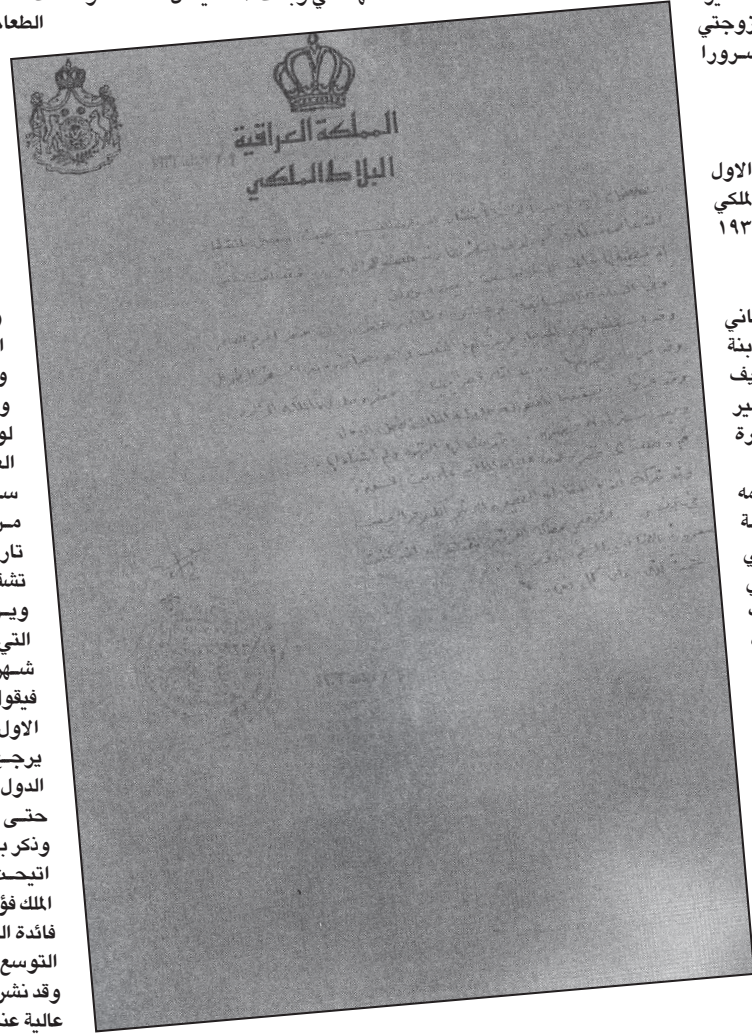
ختم البلاط الملكي

١٩٢٣/١٢/١

التعليق:

ولدت الملكة عالية في ١٩ كانون الثاني من عام ١٩١١ بمكة المكرمة وهي ابنة الملك علي ملك الحجاز بن الشريف حسين بن علي بن عون، وشقيقة الامير عبد الاله والاميرة بديعة والاميرة جليلة والاميرة عابدية.

وقبل ان يقترن الملك غازي بابنة عمه الاميرة عالية، اراد ان يتزوج الانسة (نعمت) اصغر بنات ياسين الهاشمي حيث كانت صداقة بين بنات الهاشمي وبنات الملك فيصل (شقيقات الملك غازي) وربما تكون اخوات الملك قد حبزن لاختيهم الاقتران باحدى بنات ياسين الهاشمي، وصار هذا الخبر يتردد في الاوساط، وعندما سمع نوري السعيد هذا الخبر طار صوابه، واسرع يوحد جهوده ومساغبه مع جعفر العسكري لإفشال تلك الزيجة، اعتقادا منها انها اذا تمت فسوف تتيح لياسين الهاشمي مركزا خاصا يقضي به على طموحها السياسي، وقد سافر نوري السعيد الى الاردن واتصل بالملك عبد الله من اجل الاسراع بتزويج الملك غازي



**الوثيقة رقم (7)
البلاط الملكي
المملكة العراقية**

الساعة الخامسة مساء.

استقبلت اليوم في بغداد الامير عبد الله امير شرق الاردن وقد سعدت بلقائه.. واستقباله.

كم تدفعني الرغبة لسماع اجابته الجميلة ونصحه وتوجيهاته السديدة، وفي بعض الاحيان الاحظه يضجر عندما يكلمني ولا انفذ مطالبه أو توجيهاته.

لأنني ارى نفسي تجاوزت سن الوصاية، وقد عتبت بسبب رغبتني ببقاء اخي الحبيب طلال الا انه يرفض مرافقته ويرفض حتى اصطحابه الى بغداد.

لأن الامير طلال متفق معي في كل المواقف والرفض للهيمنة الانكليزية على كل شيء.

لذا فأن احاديثنا ولقائنا (ولقاءاتنا) تسبب له الضيق والحرج مما يدعوه دائما الى قطع زيارته واختصارها.

ليرشدنا الله لما فيه الصلاح والرشاد.

التوقيع الملك غازي الاول

ختم البلاط الملكي

١/نيسان/١٩٣٤

التعليق

الشريف حسين بن علي (١٨٥٤ - ١٩٣١) مؤسس دولة الحجاز الهاشمية وله من الاولاد كل من فيصل وعبد الله وعلي وزيد.

والملك عبد الله الاول بن الشريف الحسين بن علي الهاشمي القرشي (١٨٨٢ - ٢٠ تموز ١٩٥١)، واولاده كل

من طلال ونايف، ويعد مؤسس المملكة الاردنية الهاشمية بعد الثورة العربية الكبرى التي قادها والده ضد الاتراك، قدم الى الشام لمحاربة الفرنسيين في سوريا الذين طردوا اخوه (اخاه) فيصل ولكنه اوقف من قبل، لكن

البريطانيين اوقفوه في منطقة شرق الاردن وعرض عليه وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل قيام دولة

(دولة) في الاردن تحت حكمه فوافق، فوصل الى معان عام ١٩٢٠ ومن ثم الى عمان عام ١٩٢١ فتمكن في الفترة

الواقعة ما بين ٢٨ و ٣٠ مارس ١٩٢١ من تأسيس إمارة شرق الاردن، وتشكلت الحكومة المركزية الاولى في البلاد

في ١١ ابريل عام ١٩٢١.

ثم قام بتحويل الامارة الى مملكة الاردن بعد ان نال الاستقلال في عام ١٩٤٦، حاول حل النزاع الفلسطيني

-اليهودي سلميا، وحاول اقناع العرب بقبول قرار تقسيم فلسطين الا ان الجامعة العربية رفضت ذلك.

داب الملك عبد الله على التردد المنتظم على المسجد الاقصى للمشاركة في اداء الصلاة.

وفي يوم الجمعة ٢٠ تموز عام ١٩٥١، وبينما كان يزور المسجد الاقصى في القدس لأداء صلاة الجمعة قام رجل فلسطيني يدعى (مصطفى شكري عشي) وهو خياط

من القدس باغتياله، حيث اطلق الرجل البمسلح ثلاث رصاصات قاتلة الى رأسه وصدره، وكان حفيده الامير

الحسين بن طلال الى جانبه وتلقى رصاصة ايضا ولكنها اصطدمت بميدالية كان جده قد اصغر على وضعها عليه،

مما أدى الى انقاذ حياته. وبالرغم ان لاشيء تبين في التحقيقات الا انه كان يعتقد ان سبب ذلك التخوف من

إمكانية قيامه بتوقيع اتفاقية سلام منفصلة مع اسرائيل.

ترعاها، كما كانت تحظى برعاية ومحبة بقية افراد اسرتها، مع الاعتبار كونها اكبر بنات

وابناء الملك فيصل الاول من زوجته الاميرة حزيمة، وعلى اثر وفاة الاميرة رفيعه قامت

والدتها بزيارة العتبات المقدسة في الكاظمية وكربلاء والنجف، واقامت سردقا تقدم فيه

الطعام للفقراء، واستمرت في اقامته للعشرة الاولى من ايام محرم ولمدة خمسة اعوام

متتابعة، توزع فيها كل ليلة الطعام على الفقراء، وقد انشغلت عن لقاء المجتمع البغدادي قبل ذلك

بمرض ابنتها بعد ان تدهورت صحتها، فكرست لها كل وقتها وان قطعت عن المجتمع بعد وفاتها

بتاريخ ١٠ شباط عام ١٩٣٤.

وللملك فيصل الاول المتزوج من زوجته حزيمة ولد واحد وثلاث بنات الولد هو الملك غازي الاول،

والبنات كل من رفيعه وراجحة وعزة.

**الوثيقة رقم (6)
المملكة العراقية
البلاط الملكي**

عيد سعيد.. التاسعة صباحا.

اليوم الاول من عيد الاضحى المبارك.. ذهبت الى جامع السراي وأديت صلاة العيد وكان اغلب

الوزراء قد حضروا وقد تخلف رشيد عالي الكيلاني بسبب وعكة أمت به، لقد طلبنا من وزير التجارة

والاشغال عباس مهدي الاعتناء بجامع السراي وترميمه وقد شاركني المدفعي بالحديث وقد أبدوا

اهتمامهم ووعودنا خيرا.

وبعد انتهاء الصلاة.. ذهبت لقراءة الفاتحة على روح المغفور له جلالة الملك فيصل.. والذي الذي افتقده

كثيرا.. في المقبرة الملكية وبقيت طويلا هناك مستعرضا في مخيلتي جملة تكريات ومواقف مع الفقيد العزيز.

وثناء وجودي في المقبرة حضر بعض الوزراء وبقيت معهم.. واجما ولم اسمع أي كلمة مما قالوها لي.

كم سئمت من الرياء والذي يبديه البعض (ببديه بعضهم).

وعند خروجنا من المقبرة كان هناك حشد كبير من ابناء شعبي الحبيب فسعدت (فسعدت) بهم جدا، وغبطني بعضهم ان مشاهدتي لوجوههم العزيزة قد اسعدني كثيرا.

ان الله سبحانه قد الهمننا الصبر (فيه) نستعين.

التوقيع الملك غازي الاول

ختم البلاط الملكي

١٩٣٤ / ٢٦ / اذار / ١٩٣٤

التعليق

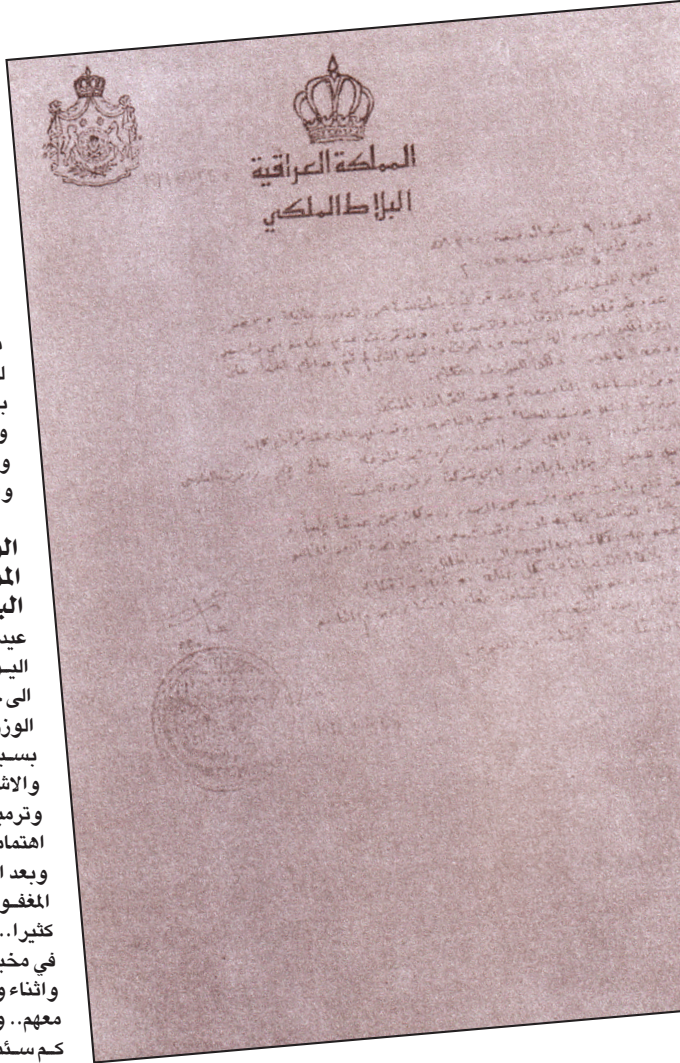
كان من المتعارف عليه منذ ايام الملك فيصل الاول، انه يحضر صلاة العيد صباح اول ايام العيد، وتحضر معه

الحاشية والوزراء، وبالنظر لوفاة الملك فيصل الاول، فق د حضر الملك غازي تل ك المناسبة، ومن ثم توجه الى المقبرة

الملكية في الاعظمية لزيارة قبر والده، ومن الطبيعي ان يتوجه الوزراء وبقية المسؤولين معه في الركب الى تلك

المقبرة، ولوقوع المقبرة وسط محلة الاعظمية فقد انتشر الناس صبيحة يوم العيد على جانبي الطريق لتحية

الملك، وبالنظر لمشاعر الفرح والبهجة فقد سعد الملك بتلك الحشود التي تحييه وتهتف له.



الطاهرة.. ولكن للظروف احكام. وفي الساعة التاسعة تم عقد القران المنتظر.

من قبل الشيخ يوسف مفتي العاصمة، وقد شهد على عقد القران كل من الافاضل السيد الجليل محمد

الصدر/ رشيد الخوجة/ صالح جبر/ نصرت الفارسي/ جميل

المدفعي/ جمال بابان/ ناجي شوكت/نوري السعيد.

وقد قام بالحديث معي السيد محمد الصدرن وكان بحق حديثا

طيبا شيقا، لقد كنت بحاجة لمن يتحدث معي في مثل هذه الامور

الخاصة والمحرجة. وكان ان عالجه السيد الجليل.

هذا الاشكال الذي اعانيه بكل حنكة وروية واقنعنا به.

وبعد ذلك دعوتهم الى تناول طعام العشاء ومتابعة المناسبة

وقبل انتهاء دعوة الطعام. كنت ان غادرة (غادرت) الحفلة والدعوة.

التوقيع الملك غازي الاول

ختم البلاط الملكي

١/٢٥ / ١٩٣٤.

التعليق

في يوم ١٩٣٤/١/٢٥ تم عقد القران بشكل رسمي

وصدر البيان التالي عن الحكومة وهذا نصه:

بعونه تعالى: لقد تم عقد قران حضرة صاحب

الجلالة الملك غازي الاول

المعظم على حضرة صاحبة الجلالة الملكة عالية بنت عمه جلالة الملك علي المعظم ملك الحجاز السابق في القصر

الملكي العامر في عاصمة (ملكة) بغداد، وذلك في الساعة التاسعة والنصف زوالية من مساء يوم الخميس المصادف

٩ شوال عام ١٣٥٢ و ٢٥ من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٤.

جعل الله هذا القران السعيد مقرونا بالرفاه (بالرفاء) والبنين، وتمتع شعب جلالته بالرغد الشامل والعز الدائم.

تحريراً في مساء يوم الخميس (ليلة الجمعة) المصادف ٩ شوال ١٣٥٢ و ٢٥ من شهر كانون الثاني عام ١٩٣٤.

وقد عقد قران الملك هذا يوسف ال غطاء مفتي العاصمة وشهد على عقد الزواج كل من:

١- رشيد الخوجة: رئيس مجلس النواب.

٢- محمد الصدر: رئيس مجلس الاعيان.

٣- جميل المدفعي: رئيس الوزراء

٤- نوري السعيد: وكيل وزير الخارجية ووكيل وزير الدفاع

٥- نصرت الفارسي: وزير المالية

٦- ناجي شوكت: وزير الخارجية

٧- صالح جبر: وزير المعارف

٨- جمال بابان: وزير العدلية

ويلاحظ ان مراسيم عقد الزواج التي تمت كانت بعد اشهر معدودة من تسلم الملك غازي لعرش العراق، فضلا

عن ان المملكة لم تزال بحالة حداد على وفاة الملك فيصل الاول، ولهذا كانت الحفلة مقتصرة على رؤساء الوزارات

السابقين والوزراء في الحكومة القائمة حينذاك وبعض الشخصيات المقربة من القصر.

اقامت الملكة عالية بعد زواجها من الملك غازي في قصر الزهور، وولدت بتاريخ ٢ ايار عام ١٩٣٥ طفلها الوحيد

فيصل الثاني الذي صار ملكا على العراق بعد وفاة ابيه، وبقيت بعد وفاة زوجها حيث اصيبت بالسرطان وتوفيت

في عام ١٩٥٠ ودفنت في المقبرة الملكية.

**الوثيقة رقم (5)
المملكة العراقية
البلاط الملكي**

كنت متعبا بعض الشيء فقررت الاستلقاء في ركن غرفة الاستراحة. واذا بالملكة عالية تأنن (تستأذن) بالدخول

وتطلب مني الذهاب الى بيت شقيقاتي الاميرة رفيعه في المنصور فذهبت مسرعا الى هناك، وقد كانت الاميرة

تعاني من مرض عضال الم بها لفترة طويلة. وعند دخولي اليها وجدتها مستلقية على كنبه فجلست



صالح جبر



ناجي شوكت



نوري السعيد

زكية جورج . . الكروان المترنم



بطاط عام ١٩٢٦ وما تلاها. وفي اربعينيات القرن الماضي اصبحت زكية جورج المطربة الوحيدة التي لا تنافسها اية مطربة اخرى في بغداد.

ولم تكن وهذه حالتها ان تغيب عن اعين شركات تسجيل الاسطوانات والتي تهافتت عليها بعد ان ادركت بحسها التجاري مدى رغبة الجمهور العراقي بسماع صوتها ومن هذه الشركات:

(His Master Voice صوت سيده) و اوديون وسودا وبيضا فون وغيرها. واشهر اغانيها من مقام العجم وبن رايح وبن وتاذيني وتالياها وياك. ومن مقام اللامي من غير امل حبيت انا وما اكر اكلن آه خوف الفضيحة. ومن مقام النيات يا بلبل غني لجيرانك وكلما ردت ياما تعبت. ومن مقام بيات شورى ما ظل صبر كلبى انجوه وانا الحديثة انا بنت الفقير. ومن مقام النهاوند كلبى خلص والروح ملت بالعود وطير طير لتوكر انصحك طير. ومن مقام الحجاز الراح الراح كل وني على الراح. ومن الرست بمحاسنك وبهاك. ومن الزنجران شكول على حظي انا البنية ومن الصبا انا من اكلن آه وانتذكر ايامي. ومن مقام الكرد اغنية يا حافر البير. إلى كثير من البسات والاغاني الخفيفة الاخرى.

كان صوتها رحمها الله ذا حلاوة مصحوبة ببقاء وصفاء يندران أن تجدهما يجتمعان بصوت واحد، ولكن يتكون من سلم ونصف او اوكشاف ونصف الاوكشاف أي له حدود وقيود وينقصها الجوابات على العكس من قرارها الواضح والمفهوم.

ذكرت احدى الصحف العربية سنة ١٩٤٨ ان الموسيقار عبد الوهاب قال بشأن زكية جورج انه توجد في بغداد مطربة ذائعة الصيت تغني اغنية جميلة وغريبة هي انا من اكلن آه.. آه لو تعرفتم عليها.

قال عنها الصحفي الراحل صادق الازدي صاحب مجلة قرنديل الاسبوعية في العهد الملكي ان زكية جورج وبالرغم من جهلها اصول الغناء ومعرفة المقامات العراقية وجهلها المساحات الصوتية لكنها متفوقة كثيرا على زميلاتها من المطربات فهي مطربة صداحة ولها باع كبير بالغناء وهي لا تزال تترى على عرش المطربات. وكان صوتها يدخل القلب، من اول جملة غنائية تطلقها حنجرتها في عهدها عاصرها شعرنا الكبار امثال جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري ومحمد بحر العلوم ومحمد رضا الشيبلي وبدر شاكر السياب واغلبهم خلدوا زكية في شعرهم العراقي الراقي. في الخمسينيات عادت إلى بلدها حلب متمثلة بالقول (يا غريب اذكر هلك). وقضيت بقية ايامها فيها. ورحلت إلى دنيا الخلود سنة ١٩٦٦.

كمال لطيف سالم

مارست المطربة زكية جورج الرقص مع اختها (علية) قبل ولوجها فن الطرب. جاءت مع اختها هذه من مدينة حلب السورية إلى بغداد / ١٩٢٠ وكانت بعمر تسعة عشر عاما. وسكننا محلة المربعة في دار احد اثرياء بغداد، وقد اعجب بها وبرقصها وهام بزكية حبا وطلب منها الزواج لكنها رفضته مفضلة فن الرقص على الزواج منه اضافة لكبر سنه وتعدد زوجاته، فكان ان ثار وغضب منها، فأخرجها من بيته ومعها اختها عليه. ودارت الايام دورتها المعهودة وتحولت من فن الرقص إلى فن الطرب، وذاع اسمها كمطربة ذات لون خاص بها. وقيل انها غيرت اسمها من فاطمة إلى زكية بسبب نظام الملاهي السوري لا يسمح للسوريات المسلمات بالرقص في الملاهي، فكان ان اضاقت لزكية اسم جورج المسيحي. على عهده من قال بهذا! وتجمع الشعراء والكتّاب والادباء حولها كما هو شأنهم عند اكتشافهم صوتا جميلا يتعشقونه ويستلهمون منه وحيا لإلهاماتهم، وساعدوها في الماضي قدما لتصبح بصوتها الملبس لجراح عشاق الجمال والكمال، ومن اشهر هؤلاء وفي مقدمتهم الشاعر (كمال نصرت) واكرم احمد. وكمال هذا هو الذي عرض عليها الزواج حاله حال الثري البغدادي الذي كان يملك المال ولا يملك موهبة الشعر وبالعكس منه كمال نصرت الذي يمتلك طاقة الشعر ولا يمتلك من عرض الدنيا إلا ما تقفدت عليه العصافير!

كان نصرت (يزقها) بالقصائد الطوال والعراض ومن مختلف البحور طويها وقصيرها ورملاها ومجزؤها، دون ان تترك اثرا يذكر عند زكية التي صدته ولم تكن تفهم ما يرمي اليه سيما وهي لا تجيد حتى القراءة والكتابة.

يقول لها نصرت:

انت بالفن كبيرة

من سليمي من منيرة

انت بالسفن صغيرة

انت بالفن كبيرة

وله ايضا:

انا اهاوك سمية

والهوى شربلية

هو حلو هو مر

وبه تحلو الاذية

وفعلآ عاش المسكين يعاني من اذية صدود زكية بل لم تكن تلتفت اليه ادنى التفاتة. ولم يكن الثري البغدادي والشاعر كمال نصرت يجبان زكية بل احبها الكثير من وجهاء بغداد والمحافظات وكذلك من رجال الفكر والادب والفن. واستقر بها المقام كمغنية من الدرجة الاولى في ملهى صالح

ذاكرة عراقية

العدد (1791) السنة السابعة الاثنتين (10) ايار 2010

16

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فخرى كرم

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى

للاعلام والثقافة والفنون

التحرير: علي حسين

التصميم: نصير سليم التصحيح اللغوي: يونس الخطيب